حب تحت الرماد

وقصص أخرى

عبد الفتاح كمال قناوى

اسم الكتاب : حب تحت الرماد وقصص أخرى

اسم الكاتب : عبد الفتاح كمال قناوى

تدقيق وتنسيق : نورهان هاني

تصميم الغلاف : مي مجدي

رقم الإيداع : ٢٠٢٤/٣٣٠٤٥م

الترقيم الدولي : ٩٧٨-٩٧٧-٨٧٩١-٦٧-٩

كافة الحقوق محفوظة للناشر والمؤلف

لا يُسمح بإعادة طبع أو توزيع أي جزء بأي طريقة، بما يشمل ذلك التصوير أو الطباعة أو التسجيل الصوتي أو أي وسيلة أخرى إلكترونية أو غير إلكترونية، دون إذن كتابي مسبق من الناشر، ويسمح فقط في حال الاستعانة ببعض الفقرات لغرض النقد والدراسة، طبقًا لما تحدده قوانين واتفاقات حقوق الملكية الفكرية .

حب تحت الرماد

وقصص أخرى

مؤسسة الكاتب العربي
The Writer Operation

الحسناء والثعلب

حب تحت الرماد

ملك من التاريخ

يرموك البحر

الحسناء والثعلب

(١)

القاهرة فى يوليو ١٩٦٣:

فى منطقة المعادى – أحد أحياء القاهرة الهادئة – تتنسم وأنت تمشى فى شوارعها صباحاً نسيم الهواء وقد امتزج بعبير الزهور ، فيخفف ذلك عنك ما تشعر به من حرارة جو يوليو ، ولم لا وهى تنعم بالأشجار والزهور المختلفة على جانبى طرقها، وقد يتناهى لسمعك وأنت تسير أحاديث جانبية لأناس يتحدثون عن الخطاب الذى ألقاه أمس الرئيس جمال عبدالناصر بمناسبة الذكرى الحادية عشرة للثورة.

وفى أحد شوارع هذه المنطقة الهادئة ، يقوم رجل يرتدى زي ساعي البريد بركن دراجته أمام أحد الفيلات ويدق جرس الباب ، فيفتح له رجل أشقر فى العقد السادس من العمر يرتدى نظارة طبية ، **فيسأله ساعى البريد :**

دكتورجون سيمنز

فيجيبه الرجل بعربية ركيكة :

نعم أنا البروفسير جون سيمنز

فيناوله ساعى البريد علبة ورقية متوسطة الحجم **قائلا** :

طرد لسيادتك من فرانكفورت،

فيتسلم منه الطرد **قائلًا بعربيته الركيكة** : شكراً

فيناوله ساعى البريد قلماً ويشير إليه فى خانة دفترالاستلام **قائلاً** :

توقيع سيادتك بالاستلام فيومئ له البروفسير مبتسماً ويقوم بالتوقيع ، ويخرج من جيب ثيابه ورقة نقدية من فئة الربع جنيه يدفعها لساعى البريد فى يده ، فيشكره ساعى البريد ممتناً وينطلق بدراجته مخترقاً شوارع المعادى.

دخل البروفسير مسكنه وأغلق الباب خلفه ، وما أن قام بفتح العلبة حتى انفجرت محدثًة دوياً وسقط البروفسير مضرجاً فى دمائه، وخلال دقائق معدودة سُمعت فى المنطقة الهادئة أبواق سيارت الشرطة وأجراس عربات الأسعاف وسط تجمع المارة.

(٢)

مبنى المخابرات العامة :

يدخل ضـــابط المخابرات محمود عزت مكتب الســيد فاضــل الكيلانى نائب مدير جهاز المخابرات .

فاضـــل بانزعاج : دا تالت حادث اغتيال فى أقل من ٨ شـــهور وبنفس الطريقة .

أطرق محمود برأسه قائلاً : الطرود المفخخة

فاضل : محمود.... القيادة السياسية بتطالبنا بسرعة القبض على أفراد الشبكة المسئولة عن اغتيال العلماء الألمان، لأنها أصبحت فى موقف حرج أمام الحكومة الألمانية، لأنه ده بيمس سمعة مصر وبيثبت أنها مش قادرة تحمى العلماء الألمان اللى عايشين على أرضها .

محمود : حضــرتك قريت ملف الخطة اللى قدمتها لسـيادتك الأسـبوع اللى فات ؟

فاضل : أنا فعلًا قريت الملف واتطلعت على الخطة اللى وضعتها، لكن إنت مالى إيدك كويس من الشخص اللى هيقوم بالمهمة دى ؟

محمود : التحريات اللى عملناها عنه ومراقبتنا له طوال الشهرين اللى فاتوا ، بتأكد أنه أنسب شخص يقوم بالمهمة دى .

يشـير فاضـل لمحمود بسـبابته قائلاً : السـؤال الأهم ..... هل هيقبل يتعـاون معـانـا ويقوم بـالمهمـة الخطيرة اللى هنكلفـه بيهـا ولا ممكن يرفض ؟

(٣)

مبنى الإذاعة والتليفزيون :

يقوم المخرج عصام زاهر بتصوير المشاهد الأخيرة لمسلسله.

عصام : استوب ..... برافو ..... اطبع .... دلوقت أقدر أقول لكم مبروك ..... الحمد لله انتهينا من تصوير الحلقة الأخيرة .

أصوات متداخلة لطاقم العمل : مبروك يا عصام ..... مبروك يا أستاذ عصام ..... عقبال المسلسل اللى جاى .

عصام : الله يبارك فيكم يا جماعة ..... هايل يا رجاء .

رجاء : ميرسى يا عصام .... بصراحة المشهد ده كان من أصعب المشاهد اللى صورتها فى المسلسل .

عصام : لكن إنتى أديتى المشهد بحرفية عالية ثم يميل برأسه ناحيتها **قائلاً بدعابة :** بصراحة تستحقى عليه جايزة الجولدن جلوب.

تضحك رجاء قائلة : آه يا بكاش ..... متنساش بكرة الحفلة اللى عملاها سوزى مصطفى علشان نجاح فيلمها الجديد .

عصام : أكيد جاى علشان عندى سيناريو هيعجبها ..... ناوي أعرضه عليها وأدخلها بيه التليفزيون لأول مرة .

رجاء : حقيقي يا عصام ..... دي هتبقى بالنسبة لك خبطة الموسم..... أنت عارف إن سوزى نجمة سينمائية كبيرة وعمرها ما اشتغلت للتليفزيون .

عصام : لما أشوفها بكرة هأفاتحها ..... ونفسك معايا يا رجاء .

تبتسم رجاء وهى تميل برأسها ناحيته فتداعبه قائلة : وإيه هيا مكافئتى لو أقنعتها تشتغل معاك فى التليفزيون ؟

يعبث عصـام بذقنه قائلاً : مكافئتك ..... مكافئتك يا سـتى لو سـوزى وفقت تشتغل فى التليفزيون .... هوديكى شارع سليمان باشا.

عقدت رجاء حاجبيها دهشة : شارع سليمان باشا **!** اشمعنى ؟

عصام بمرح : علشان أعزمك على أيس كريم فى جروبى .

تضحك رجاء قائلة : ده إيه الكرم ده .

عصام : مش كده وبس .

تهز رجاء رأسها قائلة : وإيه كمان يا أبو الكرم .

عصام : هجوزك رشدى أباظة **.**

تضع رجاء يدها على رقبتها قائلة : إنت عايز سامية تشنقنى .

يضحك عصام قائلاً : تبقي كده عملت أكبر خدمة للفن .

رجاء وقد جمعت أصـابعها أمام وجهها : بقى كده .... ماشـى يا عم عصام ..... ثم تنظر فى ساعتها قائلة : سلام بقى علشان ماما وخـالى زمـانهم جُم من البلـد ولازم أتغدى معـاهم ..... مـا تيجي تتغدى معانا

عصـــام : ..... ياريت يا رجاء إنتى عارفة لازم أعمل مونتاج الحلقة الأخيرة اللى صورناها ، علشان المسلسل يبقى جاهز للعرض.

رجاء : أوكى .... سلام .

عصام : مع السلامة يا رجاء ..... سلمى لى على ماما .

رجاء : يوصل إن شاء الله .

خرج عصام من الاستوديو فى طريقة لغرفة المونتاج ، وقبل أن يقترب من الباب ببضع خطوات **سمع صوت من خلفه :**

أستاذ عصام زاهر .

التفت عصـام لمصـدر الصـوت فوجد شـاب فى نهاية العقد الثالث تبدو عليه أمارات الجدية والوقار يرتدى حلة رمادية اللون **فأجابه** :

أنا عصام .... مين حضرتك ؟

مد الشاب يده مصافحاً عصام قائلاً :

معاك جلال صادق مندوب من المخابرات العامة .

عقد عصام حاجبيه في دهشة وقال متسائلاً :

المخابرات العامة ، خيريا فندم ؟

جلال : خير إن شاء الله ..... أنا جى أبلغك إن فيه بكرة مقابلة لسيادتك فى مبنى المخابرات الساعة ٩ صباحاً .

عصـــــام بقلق : مقـابلـة السـاعـة ٩ وفى مبنى المخـابرات بخصوص إيه ؟

جلال : بصـراحة معنديش فكرة ..... أنا مهمتى تنحصـر فى أنى أبلغ سيادتك بميعاد المقابلة وإن فيه عربية مرسيدس بيضـه هتكون فى انتظارك بكرة الساعة ٨ ونص قدام البيت .

عصام : تمام

جلال بجدية وصـرامة : مش محتاج أأكد عليك يا أسـتاذ عصـام إن المفروض محدش يآخد خبر بمقابلتنا دى ولا بموضـوع زيارة بكرة حتى أقرب الناس ليك .

أومأ عصام برأسه : مفهوم ..... مفهوم يا سيد جلال .

جلال : إن شـاء الله هتلاقينى فى انتظارك بكرة السـاعة ٨ ونص قدام بيتك ..... ويمد يده مصافحاً عصام : سلام يا أستاذ عصام.

عصام : سلام يا سيد جلال

(٤)

فى صباح اليوم التالى وجد عصام السيارة فى انتظاره وبجوارها جلال صادق الذى **بادره بالتحية :**

صباح الخير يا أستاذ عصام .

عصام : صباح الخير يا جلال بيه

جلال : اتفضل أركب

ركب الاثنان السيارة فى طريقهما لمبنى المخابرات ، وما إن وصلا بوابة المبنى حتى قام مسئول الأمن بأداء التحية لجلال صادق، وتوقفت السيارة أمام الباب الرئيسى ، وما أن نزل عصام من السيارة حتى وقف يتأمل مبنى المخابرت المهيب الذى يلقبه البعض بوكر الثعالب.

جلال : اتفضل يا أستاذ عصام .

ركب الاثنان المصعد حتى وصلا الدور الثانى ، وتوقف جلال أمام أحدى الغرف وطرق على بابها ، فسمع صوت من داخل الغرفة :

اتفضل، فمد يده على مقبض الباب وفتحه قائلاً لمن بداخل الغرفة :

صباح الخير يا محمود بيه .

محمود : صباح الخير يا جلال .

جلال : الأستاذ عصام زاهر .

محمود : خليه يتفضل .

جلال : أتفضل يا أستاذ عصام .

ويمد محمود يده مصافحاً عصام : صباح الخير يا أستاذ عصام أهلًا بيك.

عصام : صباح النور .

جلال : تأمرنى بشئ يا محمود بيه ؟

محمود : لا شكراً اتفضل أنت .....

يخرج جلال ويغلق الباب خلفه .

يشير محمود لعصام بالجلوس :

اتفضل استريح يا أستاذ عصام تشرب إيه ؟

يضغط محمود على زر بجوار درج مكتبه .

عصام : قهوة مظبوطة .

يفتح الساعى الباب قائلاً : أفندم

محمود : اتنين قهوة مظبوطة .

الساعى : تحت أمرك .

يخرج الساعى مغلقاً الباب خلفه .

محمود : طبعا انت عايز تعرف انت هنا ليه .

عصام : بالتأكيد .

محمود : شـــوف يا أســـتاذ عصـــام ..... إحنا بعتنالك هنا لإننا محتاجين لك .

عصام بدهشة : محتاجين ليا ! طب إزاى .

محمود : الحقيقة أن مصر محتاجة لك فى الظروف الصعبة اللى بتمر بيها دلوقت .

عصـــام : ممكن حضـــرتك توضـــح لى أكتر ..... بصـــراحة أنا مش فاهم حاجة .

يقطع حديثهما طرق على باب الغرفة ، ثم يفتح الســاعى الباب ويضــع فنجان من القهوة أمام كلا من محمود وعصام **قائلاً** :

أى خدمة تانية سيادتك

محمود : لا شكراً

يخرج الساعى مغلقاً الباب خلفه .

محمود : شوف يا أستاذ عصام انت طبعا سمعت عن المشروع الكبير اللى بتعمله مصـر لتطوير تسـليحها العسـكرى ، خاصـة فى مجال الصواريخ بمساعدة الخبراء الألمان .....

عصام بعد أن ارتشف رشفة من قهوته :

طبعا سمعت إن أحنا هانصـنع صـواريخ بمسـاعدة العلماء الألمان ..... القاهر والظافر.... تمام كده .

محمود : فعلا .... حكومة ألمانيا الشـرقية أمددتنا بعلماء من عندها فى مجال هندســـة الصـــواريخ والطائرات ..... لكن اللى انت متعرفوش إن فيه جهة مش عايزة المشروع ده يتم .....

أطرق عصام برأسه قائلاً : حضرتك تقصد اسرائيل طبعاً .

أومأ محمود برأســه قائلاً : ده صــحيح ..... لأن إســرائيل هى العدو الأوحد لمصر والأمة العربية فى منطقة الشرق الأوسط .... وبالتالى مش من مصلحة إسرائيل إن مصر تنتج صواريخ متطورة بمســـاعدة الألمان ..... لأن ده هيمثل تهديد لأمنها ولوجودها على أرض فلسطين المحتلة .

عصـــام : وإيه اللى فى إيدها تعمله ..... يعنى هل ممكن تضـــرب مصانع الصواريخ دى مثلا ؟

محمود : لا مش هتضرب مصانع الصواريخ ولا حاجة .... لكن بدأت بتنفيذ خطة تانية لإجهاض المشروع .

عصام بفضول : إزاى ؟

محمود : إسرائيل بدأت من شهور بتنفيذ خطة لاغتيال العلماء الألمان على أرض مصـــر عن طريق الطرود البريدية الملغومة ..... أولًا لإرهاب العلماء الألمان فيخافوا ويرجعوا بلدهم .... وثانيًا تثبت للحكومة وللشــعب الألمانى أن مصــر غير قادرة على حماية أبنائها فيطالبوهم بالرجوع لألمانيا .... وبكده يفشل المشروع .

عصـــام : وهل نجح المخطط ده ؟..... يعنى قدروا يغتالوا حد من العلماء ؟

محمود : مع الأسف إسرائيل قدرت تنفذ عن طريق عملاءها ٣عمليات راح ضحيتها اتنين من العلماء الألمان وساعى بريد مصرى.

عصام بانفعال : الكلاب .

محمود : وطبعا ده حط مصر فى موقف حرج .... خاصة إن العلماء الألمان اللى فى مصر رفضوا الاستجابة للتهديدات دى، وصمموا يقعدوا فى مصر ويكملوا المشروع .

ضم عصام شفتيه بأسى : فعلًا .... إحنا فى موقف حرج .

محمود : علشان كده إحنا بعتنالك يا سيد عصام .

عصام : طب وأنا إيه دخلى فى اللى حضرتك حكيتهولى دلوقت ؟ يعنى إيه علاقتى بمشروع الصواريخ واغتيال العلماء الألمان؟

أنا راجل مخرج ..... تكونوش حضراتكم عايزنى أعمل فيلم تسجيلى عن الموضوع ده ؟

هز محمود رأسه وهو يبتسم : لا يا عصام إحنا مش عايزينك تعمل فيلم تسجيلى ولا حاجة .... إحنا عايزينك تساعدنا فى كشف أفراد الشبكة اللى وراء مخطط الاغتيالات .

عصام : ممكن حضرتك تشرح لى إزاى هقدر أساعدكم ؟ واشمعنا اخترتونى أنا بالذات للمهمة دى ؟

محمود : حكاية إزاى هتساعدنا دى هقول لك عليها بعدين ..... لكن أقدر أقول لك دلوقت إحنا ليه اخترناك للمهمة دى ..... أولاً لأنك بتتكلم الألمانية بطلاقة .... إنت درست فى ألمانيا أربع سنين مش كده.

عصام : ده صحيح .... طب ده أولاً .... طب وثانياً .

يفتح محمود درج مكتبه ويخرج منها صورة لفتاة يناولها لعصام **قائلاً**: ثانياً ..... صاحبة الصورة دى .

يتناول عصـــام الصـــورة ويتأملها للحظات ثم يقول : دى نورا ..... نورا سميث

محمود : بالظبط ..... نورا ســـميث ، دى كانت زميلتك فى معهد السينما لما كنت بتدرس فى ألمانيا مش كده ؟

عصام : صحيح سيادتك ..... بس إيه علاقة نورا بمشروع الصواريخ اللى بتعمله مصر ؟

محمود : والد نورا يبقى عالم الصـواريخ الالمانى البروفسـير سـميث برجمان ..... وهو موجود حالياً هنا فى مصـر ضـمن نخبة من العلماء الألمان اللى بيشتغلوا فى المشروع .

عصام : برضه معرفتش إيه علاقة بنته نورا بالمشروع ده ؟

محمود : شـوف يا عصـام ..... إحنا اخترناك علشـان عايزين نزرعك وسـط الجالية الألمانية اللى موجودة فى مصـر .... لأن زى ما قولت لك أنك بتجيد الألمانية .... ثانياً نورا هتوصـــل مصربعد كام يوم و معرفتك بيها هيسهل دخولك وسطهم لأن إحنا شـاكين فى واحد منهم ، وأنه على صـلة بجهاز الموسـاد الإســـرائيلى وإنـه هو اللى بيديهم كل المعلومـات المتعلقـة بالعلماء الألمان ، وإنه هو اللى بيدير الشـــبكة اللى وراء الاغتيالات دى .... ثالثاً وده الأهم إحنا اخترناك للمهمة دى بعد ما عملنا تحريات موسـعة عنك وتأكدنا أنك شـاب وطنى مخلص وبتحب البلد دى ..... بيتهيألى الصـــورة دلوقت وضحت قدامك.

ســاد الصــمت للحظات فقال عصــام بعد أن مرر أنامله على جبهته عدة مرات :

بعد اللى ســـيادتك قولته ..... مقدرش أقول لا..... وأنا رقبتى فدى مصر ..... بس ..... .

محمود : بس إيه يا عصام

عصام : شغلى فى التليفزيون .... .

محمود : شـــغلك فى التليفزيون هيمشـــى عادى جداً ..... بس هتاخد أجازة قد أسبوعين علشان تبقى موجود مع نورا خلال فترة تواجدها بالقاهرة ..... لحد ما تقدر تدخل وسط الألمان ..... وانت والحمد لله انتهيت امبارح من تصـــويرالحلقة الأخيرة من مسلسلك ومن حقك تآخد أجازة ..... وبالنسبة للمسلسل الجديد اللى كنت ناوى تعرضــه على ســوزى مصــطفى فدا ممكن يتأجل لبعد ما تخلص مهمتك يا بطل

عصام: بسم الله ما شاء الله، ده حضراتكم عارفين كل حاجة وبالتفصيل

يبتســم محمود قائلاً : طبعًا ..... المهم دلوقت إنك لازم تجهز للمهمة علشان نورا هتوصل مصر بعد ٣ أيام .

عصام : هى جاية أجازة ؟

محمود : لا..... اللى متعرفوش إن نورا بقت مخرجة أفلام تســـجيلية ..... وهى بعتت من ألمانيا تآخد تصـــريح لأنها ناوية تعمل فيلم تسجيلى عن الآثار المصرية .

عصام بفضول : وهتقعد قد إيه فى مصر ؟

محمود : شهرين .

تمتم عصـــام : شـــهرين .... تمام ..... طب ممكن دلوقت أعرف من حضرتك اللى هأعمله بالظبط .

نهض محمود من خلف مكتبه وإتجه إلى حيث يجلس عصـــام **قائلاً :** شـــوف يا ســيدى أنا هديلك عنوان شـــقة هتقابلنى فيها بكرة الســاعة عشـرة الصـبح وهناك هتعرف تفاصـيل العملية اللى هتقوم بيها ..... ودلوقت مش عايز أعطلك عن شـــغلك فى التليفزيون أكتر من كده، علشـــان تلحق تعمل مونتاج الحلقة الأخيرة .

عصام بدعابة: وحضرتك عارف إن أنا عندى مونتاج النهاردة كمان.

ربت محمود على كتف عصـــام قائلاً : طبعا .... ثم يعقب وقد تغيرت لهجته للجدية : مش محتاج أنبهك للســـرية التامة ، وإن محدش يعرف حاجة عن مقابلة النهاردة ولا طبيعة المهمة اللى هتقوم بيها ولا حتى مراتك ..... .

عصام : بس حضرتك أنا مش متجوز .

ضـــرب محمود بكفه على جبهته قائلاً : فعلًا ....أنا نســـيت إنك مش متجوز ..... إنت عايش مع والدتك وأخوك الصـغير طارق مش كده.

عصام : فعلا .

يمد محمود يده مصافحاً عصام : ودلوقت أقول لك مع السلامة .

عصام : مع السلامة .

محمود : مش تعرف عنوان الشقة اللى هنتقابل فيها .

عصام : أيوه صحيح .

محمود :عنوان الشـقة ١٦ شـارع الزهور مصـر الجديدة..... الدور التالت شقة ١١ .

عصام : تمام سيادتك .

يضـــغط محمود على أحد الأزرار الموجودة على مكتبـه فيفتح الباب أحد الرجال فيشير محمود باتجاه عصام قائلاً : حسن ... وصل الأستاذ عصام .

حسن : اتفضل يا أستاذ عصام .

غادر عصام مبنى المخابرات وعقله لا يكف عن التفكير ، محاولاً اسـتيعاب ما دار بينه وبين ضـابط المخابرات محمود عزت، فلم يكن يتخيل يوماً أن يسـتعين به جهاز المخابرات ويطلب مسـاعدته ويكلفه بهذه المهمة الخطيرة، ولكن كما أخبره محمود عزت فإن البلاد تواجه خطراً داهماً ولابد من التصدى له.

(٥)

خرج محمود من غرفته بعد انصـرف عصـام بلحظات وتوجه لغرفة السيد فاضل الكيلانى.

محمود : صباح الخير يا فندم

فاضل : صباح الخير يا محمود ..... قابلت عصام ؟

محمود : لسه خارج من مكتبى من خمس دقايق

فاضـل بلهفة : وإيه نتيجة مقابلتك معاه .... هل وافق يشـتغل معانا ويقوم بالعملية ؟

محمود بثقة : أطمن يا فندم .....عصـام وافق أنه يقوم بالمهمة ..... وبكرة إن شاء الله هقابله فى شقة مصر الجديدة وأفهمه على تفاصيل العملية كلها

تهلل وجه فاضـل قائلاً : هايل يا محمود ..... ربنا يوفقكم وتقدروا تمسكوا أفراد الشبكة اللى وراء اللى بيحصل ده ..... وإن كنت برجح أن أفراد الشبكة دى ممكن يكون شخص واحد

محمود : متقلقش سيادتك يا فندم ..... إن شاء الله هنقبض على أفراد الشبكة سواء كانوا واحد بس أو عشرة

فاضل : بالتوفيق يا محمود

محمود : متشكر يا فندم ..... حضرتك تأمرنى بشئ

فاضل : لا أتفضل أنت ..... مع السلامة

محمود : مع السلامة يا فندم

(٦)

ذهب عصـام فى الميعاد المحدد إلى شـقة مصـر الجديدة ، وهناك وجد محمود عزت فى انتظاره .

محمود : صباح الخير يا عصام .

عصام : صباح الخير يا محمود بيه .

محمود : فى ميعادك تمام ..... اتفضل ادخل .

يغلق محمود باب الشقة

محمود : اتفضل اقعد ..... فطرت ؟

عصام : الحمد لله .

محمود : يبقى نخش على الشـغل ..... شـوف يا عصـام أنا زى ما فهمتك امبارح إن مهمتك هى كشـف الشـبكة المسـئولة عن اغتيال العلماء الألمان الموجودين فى مصـر ..... وده هيكون عن طريق زرعك وسـط الجالية الألمانية الموجودة هنا واللى هتسـاعدك فيه من غير ما تعرف طبعًا نورا سـميث ، اللى هتوصـل مصـر بعد بكرة ..... وأهم حاجة إنك لازم تكون حذر جداً وإنت بتتعامل معاهم بمعنى إنك متحولش تثير شكوكهم حواليك ..... يعنى متحولش مثلًا تسأل أى حد من العلماء عن طبيعة عمله حاول تخلى كلامك معاهم كلام عام ..... مفهوم .

أومأ عصام برأسه : مفهوم .

تناول محمود حقيبة بجواره وفتحها قائلاً **:** ودلوقت هوريك صـور لأشـخاص ممكن تقابلهم ..... دى طبعًا نورا سـميث ..... أفتكر كان فيه بينكم علاقة عاطفية لما كنت بتدرس فى ألمانيا .

عصـــام : فعلًا يا محمود بيه ..... أنا ونورا كنا بنحب بعض، وفكرت أرتبط بيها ..... لكن طموح كل واحد فينا كان هو الصخرة اللى تحطم عليها الحب ده .

محمود بفضول : إزاى ؟

عصـام : مصـر كانت بتسـتعد لإنشـاء التليفزيون ، وأنا كنت واحد من أفراد البعثة اللى بعتتهم مصـــر علشـــان يدرســوا الإخراج فى ألمانيا ، علشان يكونوا ضمن الطاقم اللى هايدير الجهاز الجديد وده طبعًا كان حلم حياتى .... فلما عرضـت على نورا الزواج وافقت بشـرط إنى أقعد معاها فى ألمانيا وأشـتغل هناك ، لأنها عايزه بعد التخرج تشـــتغل مخرجة فى بلدها ..... فرفضـــت طبعًا شـــرطها وفهمتها إنى لازم أشـــتغل أنا كمان فى بلدى ، فانفصلنا عن بعض ورجعت مصر وإشتغلت فى التليفزيون .

محمود : إيه رأيك نشرب قهوة وبعدين نكمل ؟

عصـــام : بصـــراحة أنا كنت عايز أقولك نفســـى فى فنجان قهوة ..... على فكرة أنا بعرف أعمل قهوة كويس أوى ..... .

محمود : كده .... طـب يـالا ورينـا شـــطـارتـك ..... المطبخ على إيدك الشمال .

دخل عصام المطبخ وقام بعمل فنجانين من القهوة .

عصام : اتفضل قهوتك يا محمود بيه .

محمود : شـكراً يا عصـــام ..... نكمل بقا..... ده سـميث برجمان والد نورا ، مقابلتوش قبل كده .

عصام : بصراحة لا .

محمود : وده فون جير هارد مصـــمم طائرات ..... وده أودلف كول مهندس صـواريخ ..... وده كارل فيرمان مستشـار بالسـفارة الألمانية ..... وده هانز جوتبرج مدرب خيول ..... .

عصام بدهشة: مدرب خيول..... طب وده إيه علاقته بالعلماء الألمان؟

محمود : هانز ده صـديق لعدد كبير منهم .... ودايما بيلتقى بيهم سـواء فى نادى الجزيرة أو فى الحفلات اللى بيعملو ها ..... وده هو الشخص اللى هتركز عليه .

تفرس عصام فى صورة هانز قائلاً : هو ده الشخص اللى حضـراتكم شاكين فيه ؟

محمود : أيوه هو ..... وإنت اللى هتأكد لنا الشك ده أو تنفيه .

عصام : تمام .

محمود : ودى بقى مادلين جوتنبرج .

تناول عصام الصورة وما إن تفرس ملامح صاحبتها حتى أطلق صفير إعجاب ، قطب محمود حاجبيه فنظر إليه عصـــام **وقال معتذراً** : آسف يا محمود بيه .

محمود : حلوة مش كده ؟

عصام : حلوة أوى .

محمود : مادلين دى تبقى مرات هانز ..... وإحنا مش عارفين هل لو هانز فعلًا جاســوس، هل هى مشــتركة معاه فى عملياته ولا متعرفش حاجة وهو شــغال لوحده ..... يعنى مادلين دى هى طرف الخيط اللى هيوصلك للحقيقة .

عصام : ممكن سيادتك توضح أكتر .

محمود : شـــوف يا عصـــام مادلين علاقتها مع هانز متوترة نوعاً ما بســبب ســفرياته الكتير وســبب تانى مهم وهو إنها معندهاش أولاد ..... علشـــان كده هى بتحب دايما تقضـــى وقتها فى الحفلات والسهرات تشرب وترقص .

عصام : يعنى حضرتك عايزنى أقرب منها .

محمود : تمام كده ..... مطلوب منك إنك تقرب منها لحد ما تتاح لك..... وانت شاب وسيم ولبق وسهل عليك تقوم بالمهمة دى ..... بالتالى تقدر تعرف منها كل حاجة عن جوزها .... شغله ..... سفرياته .... طبيعة الأشخاص اللى بيتعامل معاهم ، لإن إحنا بنشـــك إن تجارة الخيول ما هى إلا واجهة بيخفى وراها نشـاطه الحقيقى .... كل ده طبعًا من غير ما تخليها تشـك فيك .... يعنى لازم تتعامل معها بحذر شديد جداً ..... يعنى وإنت بتسألها بلاش أسألتك تكون مباشرة علشان متشكش فيك ..... يعنى حاول تفتح معاها كلام عادى وهى تقولك اللى إنت عايزه من غير مخاطرة .

أومأ عصام برأسه : تمام .... تمام يا محمود بيه .

محمود : واطمن إحنا هنكون معاك خطوة بخطوة وهبقى أتصـــل بيك علشـان أحدد معاك ميعاد المقابلة الجاية ..... ويخرج من جيبه ورقة صغيرة يناولها عصام **قائلاً** :

وده رقم تليفون حاول تحفظه كويس ومتكتبهوش ، لو فى أى حاجة مهمة اتصـــل بيا فى أى وقت بالليل أو بالنهار ..... ودلوقت هتخرج إنت الأول ..... مع السلامة يا عصام بالتوفيق إن شاء الله .

عصام : مع السلامة يا محمود بيه .

(٧)

وصلت نورا إلى القاهرة برفقة طاقم التصوير المصاحب لها ، ونزلت بفندق شـبرد بعد زيارة سـريعة لوالدها، وفى اليوم التالي لوصـولها ذهب عصام للقائها.

عصام : صباح الخير .

موظف الاستقبال : صباح الخير .

عصـــام : أنـا بســـأل عن المخرجـة الألمـانيـة نورا ســـميث اللى وصلت إمبارح .

موظف الاستقبال : نورا سميث ..... دى موجودة فى اللوبى .

عصام : متشكر جداً .

موظف الأستقبال : تحت أمرك .

اتجه عصـام إلى اللوبى بحثاً عن نورا ، فوجدها جالسـة تحتسـى فنجان من الشاى وقد انهمكت فى قراءة بعض الأوراق .

عصام : نورا .

كسا السرور وجه نورا حينما شاهدت عصام **فقالت بفرح** :

مش معقول ..... عصام .

وتركت ما بيدها وقامت من مقعدها **واعتنقت عصام قائلة** :

وحشتنى أوى يا عصام .

عصام : وإنتى كمان يا نورا .

جلس عصام فى المقعد المقابل لها فبادرها **قائلاً** :

حمدلله على السلامة نورتى مصر

نورا : الله يسلمك .... لكن انت عرفت إزاى إني هنا ؟

عصـام : قريت فى الجرايد عن وصـولك ..... وأنك ناوية تعملى فيلم تسـجيلى عن الآثار المصـرية .... وإنك نازلة هنا فى شـبرد فجيت علشان أشوفك .

نورا : على فكرة لو مكنتش جيت دلوقت ، أنـا كنـت هروح لـك التليفزيون وأسأل عليك .

عصام : صحيح يا نورا .

نورا : صـحيح يا عصـام ..... بس أنا مش شـايفة فى إيديك دبلة ، إنت متجوزتش .

عصام : لا ..... وإنتى مرطبتيش بحد .

نورا : لا .

سـاد الصـمت للحظات وكل منهما ينظر للآخر ، فقال عصـام بعد أن تفحص وجهها بنظرة عميقة :

لسـه زى ما إنتى مفيش حاجة فيكى اتغيرت ..... وشك اللى كله براءة وعينيكى الخضـراء الجميلة اللى بلون ورق الشـجر وشـعرك الأصـفر اللى زى سـنابل القمح وابتسـامتك الصـافية ..... لما شـوفتك دلوقت حسيت إننا سبنا بعض من أيام قليلة مش من أربع سنين .

ابتسمت نورا فانحسر ثغرها الباسم عن أسنان بيضاء ناصعة :

فعلاً السنين عدت بسرعة .

عصام : وإنتى قاعده فى مصر قد إيه ؟

نورا : شهرين .

عصام : وإيه هو بروجرامك ؟

نورا : هنبدأ تصـــوير فى القاهرة والجيزة وبعد كده هســـافر الأقصـــر وأسوان ، ونهاية الرحلة هاتكون فى اسكندرية ....

عصام : يبقى طول ما إنت هنا هشوفك .....

نورا : أكيد ..... وحشتنى أوى يا عصام

عصام : وإنتي كمان يا نورا .

نورا : على فكرة أنا عيد ميلادى يوم الحد الجاى .

عصام : كل سنة وإنت طيبة يا حبيبتى .....

نورا : بجد هو أنت لسه بتحبنى .

عصـــام بمرح : إنتى شـــايفة إيه ..... بس غريبة أوى لما كنت فى ألمانيا كان عيد ميلادك ١٢ أكتوبر ودلوقت لما جيتى مصـــر برضـــه عيد ميلادك ١٢ أكتوبر ..... مش المفروض فيه فرق توقيت بين مصر وألمانيا .

ضحكت ضحكة خفيفة ثم قالت بمرح **:** طول عمرك دمك خفيف .

عصام : وحفلة عيد ميلادك هتعمليها هنا فى الفندق .

نورا : بابا كان عايز يعملها عنده فى المعادى ، لكن الشقة عنده صـــغيرة .... قلت أعملها هنا فى الفندق لأنى عازمة زمايلى وبعض علماء الآثار وأكيد بابا هيعزم بعض أصدقائه .

عصام بدهشة مصطنعة : هو باباكى عايش هنا فى مصر .

نورا : أيوة ..... بابا واحد من العلماء الألمان اللى بيساعدوا مصر فى مشروع إنتاج وتطويرالصواريخ .

عصـــام : أيوة ..... أيوة ..... وإنتي هتقعدى هنا فى شـبرد على طول ولا هتقعدى مع بابا فى المعادى ..... .

نورا : لا هأقعد هنا .... علشـــان أبقى مع زمايلى المصـــورين وهبقى أزور بابا من وقت للتانى .

عصام : إيه رأيك تتغدي معايا النهاردة ؟

نورا : يا ريت يا عصـام .... أنا كمان نص سـاعة هروح أعاين أماكن التصوير وبعدها هروح لبابا .

عصام : يبقى أشوفك يوم عيد ميلادك .

نورا : أوكى .

نهض عصـــام من مقعده قائلاً : لو احتاجتى أى حاجة قبل يوم الحد كلمينى على طول ..... .

ويخرج من حافظته كارت يناوله لنورا قائلاً : دا الكارت بتاعى ..... ودلوقت أستأذن أنا علشان تشوفى شغلك، ويمد يده مصافحًا إياها :

سلام يا نورا

نورا : سلام يا عصام

(٨)

فندق شبرد ليلة عيد ميلاد نورا :

يقبل سميث إبنته نورا قائلاً : كل سنة وإنتى طيبة يا نورا ..... عقبال ١٠٠ سنة يا حبيبتى .

نورا : وإنت طيب يا بابا .

يجتمع بعض المدعوين حول نورا لتهنئتها **:** كل سنة وإنتى طيبة .

نورا : وإنتوا طيبين .

حضر عصام الحفل مرتدياً حُلة سهرة سوداء ورابطة عنق صغيرة ، وما أن شاهدته نورا حتى أشارت إليه مبتسمة : هاى عصام .

إتجه عصام إليها فهنئها وهو يبتسم **:** كل سنة وإنتى طيبة يا نورا .

نورا : وإنت طيب يا عصام .

أخرج عصام من جيب سترته علبة صغيرة من القطيفة الحمراء ناولها لنورا قائلاً : إتفضلى هديتك .

فتحت نورا العلبة وبدا على قسمات وجهها إعجابها بالهدية **:** الله بروش .... جميل أوى ..... ذوقك دايما حلو .... دى أجمل هدية جت لى .

عصام : إنتى تستاهلى الدنيا كلها ..... ثم عقب مداعبًا **:** ثم إيه حكاية أجمل هدية دى .... مش لما كنا فى ألمانيا جبت لك ساعة هدية عيد ميلادك وقولتى لى ساعتها إنها أجمل هدية جت لك .... أنا عايز أعرف دلوقت مين أجمل هدية الساعة ولا البروش ؟

نظرت نورا فى عينيى عصـــام وقالت برقة : الحقيقة .... إنت نفســك أجمل هدية ..... ثم أمسكت يديه واستدركت قائلة : تعالى لما أعرفك ببابا ..... وقدمته لوالدها قائلة : بابا ده عصام اللى كلمتك عنه .

ينظر سميث إلى عصام متفحصًا ثم يمد يده مصافحًا إياه وهو يبتسم : إزيك يا أستاذ عصام ..

عصام : الحمد لله ..... فرصة سعيدة إنى إتشرفت بحضرتك دكتور سميث .

فى تلك اللحظة وضع شخص يده على كتف سميث وهو يقول : ازيك يا صديقى العزيز .

التفت سميث وما أن وقعت عيناه على الرجل حتى بش وجهه وصافحه قائلاً : أهلا بيك دكتور جيرهارد .

ويشير جيرهارد إلى نورا قائلاً : أكيد دى نورا مش كده .

سميث : أيوه .

جيرهارد : كل سنة وإنتى طيبة عقبال ١٠٠ سنة .

نورا : وحضرتك طيب ..... أنا متشكرة جدا لذوق حضرتك وتشريفك حفلة عيد ميلادي .

يلتفت سميث يميناً ويساراً : إمال فين هليجا مجتش معاك ليه ؟

جيرهارد : تعبانة شوية .

سميث : سلامتها ..... نسيت أعرفكوا ببعض الأستاذ عصام مخرج تليفزيونى ..... البروفسير فون جيرهارد .

يمد عصام يده مصافحاً جيرهارد : أهلًا وسهلًا بروفسير جيرهارد .

جيرهارد : أهلا بيك أســـتاذ عصـــام ..... وإنت مخرج تلفزيونى فى ألمانيا .

عصام : لا أنا باشتغل هنا فى مصر .

جيرهارد : غريبة ..... إنت بتتكلم ألمانى كويس جداً .

عصام : ده لإنى درست الإخراج فى المانيا .

جيرهارد : عظيم ....عظيم .

سميث : صديقنا كول وصل هو مراته .... بعد إذنك يا عصام .

عصام : اتفضلوا .

إتجه عصام وجلس على أحد المقاعد منفرداً ، وجال ببصره فيمن حولـه من المدعوين فوجد بعضـــاً ممن عرض عليـه محمود عزت صورهم.

لاحظته نورا فاتجهت ناحيته قائلة : قاعد لوحدك ليه ؟

عصام : لا أبدًا سايبك ترحبى بضيوفك .

نورا : شايف اللى قاعدين على الترابيزة هناك دول .

نظر عصام إلى حيث أشارت نورا : آه شايفهم .

نورا : اللى على اليمين ده رئيس قســـم الآثـار بجـامعـة القـاهرة .... والاتنين اللى جانبه علماء آثار مصريين .

قطع حديثهما والدها الذى جاء برفقة رجل فى منتصـــف العقد الخامس من عمره وإمرأة شـقراء بارعة الجمال ترتدى فسـتان سـهرة يبرز مفاتن جسـدها فقدمهما قائلاً : نورا ..... صـديقنا هانز جوتنبرج وزوجته مادلين جايين يهنوكى .

هانز ومادلين : كل سنة وإنتى طيبة .

نورا : وحضراتكم طيبين .... أنا سعيده لتشريفكم حفلة عيد ميلادى .

ويشـــير ســـميث إلى عصـــام قائلاً : أعرفكم بالأســـتاذ عصـــام..... مخرج تلفزيونى .

يحنى عصـــام رأســـه انحنائة خفيفة ثم يصـــافحهما وهو يبتســـم : أهلا وسهلا هانز ..... فرصة سعيدة فراو جوتنبرج .

هانز : إحنا الأسعد أستاذ عصام .

رمقته مادلين بنظرة فاحصة ثم قالت **:** والأستاذ عصام شغال مع نورا فى الفيلم اللى هتعمله .

عصام : لا .... أنا شغال فى التليفزيون المصرى .

نورا : أنا عرضت عليه يشتغل معايا فى ألمانيا لكن هو رفض .

ترفع مادلين حاجبيها دهشـــة : مع إنك تنفع تشـــتغل قدام الكاميرا..... مش كده هانز .

هانز : فعلا ..... .

فى هذه الأثناء ارتفع صوت موسيقى الفالس .

يتجه أحد المدعوين ناحية نورا وينحنى أمامها قائلاً **:** نجمة الحلفة تسمح لى بالرقصة دى .

نورا : متأســفة الرقصــة الأولى مع عصــام ..... ثم تمد يدها لعصــام **قائلة** : تسمح .

عصام : بكل سرور ..... بعد اذنكم .

وعند انتهاء الرقصة قام المدعوين بالتصفيق .

سميث : يالا يا جماعة علشان تطفوا الشمع .

اشترك المدعون فى ترديد أغنية عيد الميلاد ، ثم بدأوا بعد ذلك بتناول الطعام والشراب، وما إن انتهوا حتى انساب صوت موسيقى التانجو .

مادلين : هانز ..... قوم أرقص معايا .

هانز : إنتي عارفة يا حبيبتى إنى مبعرفش أرقص كويس ..... .

مادلين بضجر : عارفة ..... عارفة .

فى تلك اللحظة كان عصام يقف بالقرب من الطاولة التى يجلس عليها هانز ومادلين فحدث نفسه بصوت خفيض : أهيه الفرصة جت لك يا عم عصام .

فأستدار ناحيتهما قائلاً : فراو جوتنبرج تسمح لى بالرقصة دى ..... بعد إذن هر هانز طبعا .

ابتسمت مادلين ابتسامة رقيقة قائلة : بكل سرور ..... فأشار إليه هانز بالموافقة .

إتجه عصام بصحبه مادلين لمنتصف القاعة وبدأ الرقص سوياً .

عصام : أنا بأشكرك على أنك سمحتى لى بالرقصة دى مع أجمل ست شافتها عينيا .

علت وجه مادلين ابتسامة جذابة فقالت وهى ترنو فى وجه عصام : دى مجاملة رقيقة منك .

عصام : دى مش مجاملة دى حقيقة ..... بصى حواليكى وشوفى مين أجمل واحدة فى الحفلة .

نظرت إليه نظرة ماكرة قائلة : وإنت محدش قال لك إنك تنفع تمثل فى السينما .

عصام : واحدة من نجمات التليفزيون قالت لى كده .

مادلين : أصـــل إنت فيك مقومات النجم الســـينمائى ..... يعنى طويل ووسيم وعندك قبول ..... .

علا وجه عصـــام ابتســـامة عريضـــة : دى شـــهادة أعتز بيها فراو جوتنبرج.

مادلين : بلاش فراو جوتنبرج ..... ممكن تنادينى مادلين ..... ولو بقينا أصدقاء ممكن تقول لى يا مادى .

عصام : ممكن أطمع فى صداقتك دلوقت يا ماجى .

عقدت حاجبيها وهى تقول : أنا قولت لك مادى مش ماجى .

عصام : عارف ..... هو فى حد من أصدقاءك بيندهلك بماجى .

مادلين : لا

عصـــام : علشـــان أبقى أول واحد يقولك يا ماجى ..... ومن النهاردة إنتى ماجى ، ولما أشوفك مش هقولك غير ماجى .

تضحك مادلين ضحكة لطيفة قائلة : إنت لطيف أوى .

نظر عصـــام بعمق فى عينيها الزرقاويين قائلاً : محدش قال لك إنك جميلة أوى وجذابة أوى .

بادلته مادلين النظرة ذاتها قائلة : أعتبر ده اعجاب ولا مغازلة .

عصام بثقة : الاتنين .

علت وجهها ابتســـامة ســـاخرة وهى تقول : واضـــح إن عندك ثقة كبيرة بنفسك .

عصام : ده حقيقى .... وإنتى قاعده هنا فى مصر ولا زيارة ؟

مادلين : لا عايشة هنا .

عصام : يبقى أكيد هشوفك .

حدقت فى عينيه ثم قالت بخبث : إنت عايز تشوفنى تانى ؟

عصام : زى ما إنتي عايزة تشوفينى تانى .

مادلين : وعرفت إزاى إن أنا عايزه أشوفك تانى ؟

عصام : من عينيكى الحلوين دول .

ضحكت قائلة : مش أنا قولت لك إنك تنفع ممثل أكتر منك مخرج .

عصـــام : على فكرة أنا عضـــو فى نادى الجزيرة وببقى موجود هناك يوم التلات من عشـــرة الصـــبح لواحدة الظهر ..... ويوم الجمعة من خمسة لتمانية ..... .

ابتسمت بمكر ثم أسبلت جفنيها قائلة : هفكر ..... .

وعند إنتهاء الرقصـــة قام المدعون بالتصـــفيق ، وبعد حوالى نصـــف ساعة بدأ إنصرافهم تباعاً من الحفلة.

(٩)

جلس عصـــام على إحدى الطاولات فى حديقة نادى الجزيرة يتصـــفح إحدى المجلات الفنية ، وبينما هو منهمك فى تصـــفحه إذ به يســـمع صوت ألفه منذ يومين فقط : صباح الخير .

وجد عصـــام أمامه مادلين ترتدى فســتاناً زاهى الألوان وتغطى عينيها بنظارة شـمسـية ، فهب من مقعده ومد يده مصـافحاً إياها ثم طبع على يدها قُبلة قائلاً : صـباح النور يا ماجى ..... وأشـار إليها بالجلوس ثم أردف **قائلاً** : كنت متأكد إنك جايه .

نزعت مادلين نظارتها الشمسية من على وجهها **قائلة :** دى ثقة بالنفس ولا غرور .

عصام : دى ثقة بدليل إنك قدامى دلوقت .

مـادلين : أنـا مش عـارفـة إيـه اللى جـذبنى ليـك من أول مـا شـوفتك ..... هل وسـامتك ولبقتك فى الحديث .... ممكن..... إنك بتتعامل بثقة .... جايز ..... ويمكن لأنك المصرى الوحيد اللى قابلته بيتكلم الألمانية بطلاقة ، فدا حسسنى إنك واحد مننا وإنك قريب منى..... مش عارفة .

نظرعصام إليها نظرة ماكرة قائلاً : ويمكن الحب من أول نظرة .

علت شفتيها إبتسامة ساخرة وهى تقول : بسرعة كده..... معتقدش.. ممكن تقول صداقة.. راحة حستها ساعة ما شوفتك ورقصت معاك.

عصام : ممكن ..... تشربى إيه ؟

مادلين : عصير برتقال .

يشير عصام للنادل **قائلاً :** اتنين عصير برتقال يا حسين .

فتحت مادلين حقيبة يدها وأخرجت سيجارة من علبة سجائرها ووضعتها فى مبسمه وأشعلتها بقداحتها قائلة : بس إنت مش متجوز .

عصام : ده صحيح .

مادلين : ولا مرتبط ؟

عصام : لا ..... مرتبط .

مادلين بقلق : مرتبط ..... بمين ؟

عصام بمرح : مرتبط بشغلى .

مادلين : طب ونورا ؟

عصام : نورا صديقة عزيزة ، وكانت زميلة دراسة لما كنت فى ألمانيا .

مادلين : يعنى مكنش فيه بينكم ارتباط عاطفى ؟

عصام : بصراحة كان فيه..... لكن انتهى بمجرد رجوعى مصر .

مادلين : بس ممكن ميكونش انتهى بالنسبة لنورا .

عصام : لا معتقدش ..... نورا دلوقت مهتمة بشغلها .... .

ثم أدار دفة الحديث : طب وإنتى ؟ باين عليكى مش سعيدة يا ماجى .

مادلين : إنت شايف كده .

عصام : أنا شايف إنك بتحاولى تدارى مشاكلك وأحزانك ورا ابتسامتك وضحكتك .

أومأت برأســـها : فعلًا زى ما إنت قلت ..... أنا بحاول أتظاهر إنى سـعيدة قدام الناس بأروح حفلات وأرقص وأشـرب ..... لكن هعمل إيه ؟

عصام : طب وهانز ؟

مادلين : هانز الشغل كل حياته .

مال عصام برأسه ناحيتها قائلاً بصوت عذب أقرب للهمس : بصراحة معندوش حق ..... حد يبقى متجوز واحدة جميلة زيك وينشغل عنها ..... أنا لو منه أخليكى معايا فى البيت والشغل، علشان متغيبيش عن عينيا لحظة واحدة ..... .

نظرت إليه نظرة ماكرة ثم قالت برقة : وبعدين معاك .

عصام : محدش قال لك ، إنك فيكى شبه من أنيتا .

هزت رأسها متسائلة : أنيتا ..... أنيتا مين ؟

عصام : أنيتا ايكبرج .....عارفاها .

مادلين : آه طبعا ..... الممثلة ..... وأنا أشبها فى إيه ؟

عصــام برومانســية : فحاجات كتير ..... الشـعرالأصـفر اللى زى سلاسل الدهب ..... والعينين الزرق اللى بلون البحر ..... والابتسامة الجذابة اللى كلها شقاوة .

مادلين بدلع : وبعدين معاك ..... إنت هتخلينى أصدقك .

عصـام بمرح : أعمل إيه علشـان أخليكى تصـدقى إنى وقعت من أول رقصة ..... قصدى من أول نظرة ..... .

مادلين : إنك تتكلم جد وتقولى بصراحة ، إنت ليه طلبت تشوفنى .

عصـــام : مش لما رقصـــنا مع بعض بقينا أصـــدقاء ..... ومن حق الصديق يشوف صديقه ..... ويقعد معاه ويتغزل فيه لو كان حلو وجذاب ..... زيك كده .

ضـحكت مادلين ضـحكة رنانة : مش ممكن ..... حقيقى إنت ألطف وأظرف إنسان قابلته من ساعة ماجيت مصر .

عصام : نتكلم جد بقا ..... وإنتى بقالك كتير عايشة فى مصر ؟

مادلين : من سنة ونص تقريبًا .

عصام : وياترى مصر عجبتك .

مادلين : مصر بلد حلوة كتير .

عصام : وإيه اللى عجبك فيها ؟

مادلين : الذيل ..... الأهرامات ..... الآثار ..... والناس ..... الناس هنا طيبين أوى .

عصام : ويا ترى اتعلمتى تتكلمى عربى .

مادلين : بعض كلمات صـــباح خير، صـــباح نور، ازيك ، آمل إيه ..... آه وفيه عندكم مطرب صـــوته حلو أوى ..... وألحان أغانيه رائعة ..... مع إنى مبعرفش عربى كويس لكن بحب أسمعه .

عصام : مين ده ؟

مادلين : خافظ ..... خليم خافظ .

يضحك عصام قائلاً : قصدك عبد الحليم حافظ .

مـادلين : أيوة ..... هو .... ثم تُغنى بعربيـة ركيكـة **:** بيلومونى ليـه ..... لو شوفتوم عينيه ..... نار يا حبيبى نار .

عصـــــام مداعباً : هايل ..... على فكرة لو حابه أديكى دروس فى العربى أنا معنديش مانع .

نظرت فى عينيه العسـليتين نظرة عميقة ثم قالت بصـوت هادئ عذب

الرنين : إنـت تنفع تـدى دروس ..... بس مش فى العربى .....لإنك شـــقى أوى ..... إنت تنفع تدى دروس فى ..... الحب

عصام برقة : وتحبى إمتى نبدأ أول حصة ؟

مادلين بمرح : أول حصـة .....أول حصـة إنت بدأتها فعلًا من ..... وتنظر فى ساعة يدها : من ساعة وربع ..... .

ثم تتغير لهجتها للجدية قائلة : بيتهيألى كفاية كده لازم أمشى .

عصام : وإمتى هشوفك تانى .

مادلين : مش عارفة .

عصـام : هسـتناكى التلات الجاى هنا فى نفس الميعاد ..... علشـان تاخدى الحصة التانية .

تضحك مادلين قائلة : هشوف ..... وتصافحه قائلة : مع السلامة .

عصام : مع السلامة .

(١٠)

ذهب عصام إلى شقة مصر الجديدة حسب الميعاد المتفق عليه لمقابلة محمود عزت .

محمود : أهلا يا عصام ..... اتفضل .

عصام : إزيك يا محمود بيه .

محمود : إزيك إنت يا بطل .

عصام : الحمد لله .

محمود : إتفضل أقعد ..... إيه الأخبار يا بطل ؟

عصام : كله تمام يا محمود بيه .

محمود : عايزك تحكى لى كل اللى حصل من ساعة ما كنا ما بعض آخر مرة لحد ما جيت دلوقت وبالتفصيل .

قص عصام على محمود ما حدث منذ لقاءه بنورا بفندق شبرد ، وتلبيته دعوتها لحضور حفلة عيد ميلادها وما دار فى الحفلة من أحداث .

محمود : ده كل اللى حصل فى الحفلة

عصام : تمام زى ما حكيتوا لسيادتك ..... بس فيه حاجة يا محمود بيه

محمود : خير

عصام : مش كل العلماء اللى سيادتك وريتنى صورهم حضروا الحفلة .... زى المستشار كارل فيرمان والبروفسير البرت ماتيوس .

محمود : ما ده شـــئ طبيعى ..... مهو مش معقول كل حفلة هتلاقى فيها كل الألمان الموجودين فى مصر .

أومأ عصام برأسه قائلاً : كلامك صحيح يا محمود بيه .

محمود : وبعدين حصل إيه مع مادلين ؟

عصام : زى ما توقعت جت نادى الجزيرة يوم التلات الصبح .

محمود : تمام ..... إحكى لى كل الحديث اللى دار بينكم بالتفصـــيل ومن غير ما تنسى حاجة .

قص عليه عصام ما دار بينه وبين مادلين فى نادى الجزيرة .

كســا الســرور وجه محمود : برافو عليك يا عصــام ..... كده الخطة ماشــية صــح ..... تعرف يا عصــام إن نورا خدمتنا خدمة كبيرة من غير ما تقصد .

عصام : تقصد سيادتك بالحفلة اللى عملتها بمجرد وصولها .

فرقع محمود بأصـبعه ثم أشـار لعصـام بسـبابته : بالظبط كده ..... الحفلة دى اختصـرت لنا الوقت اللى كنا هنسـتناه علشـان نقدر ندخلك وسط الألمان .

عصام : الحمد لله ..... فعلا ده فضل كبير من ربنا .

محمود : ياه السـاعة اتنين ونص .... انت مجعتش .... أنا هطلب الغداء وبعد ما نتغدى هتكتب كل اللى حكتهولى دلوقت فى الورق اللى قدامك ده .

عصام : هكتب كل اللى حصل ..... بس ده هياخد وقت كبير .

محمود : مش مهم إنت وراك حاجة .

عصام : لا

أدار محمود قرص الهاتف ثم قال لمحدثه : ابعت لنا اتنين غداء ..... شكراً .

يضع السماعة قائلاً لعصام : نص ساعة ويكون الغداء جاهز .

(١١)

التقى عصـام بمادلين للمرة الثانية – بعد أسـبوع من لقاءهم الأول بنادى الجزيرة ، ثم ذهبا لتناول الغذاء ســوياً بأحد المطاعم النيلية، فى الوقت الذى كان هانز قد سافر للإسكندرية لاستلام شحنة أدوية بيطرية واردة من فرنسا، وعندما عاد عصام للمنزل بعد لقاءه بمادلين:

عصام : سلام عليكم يا أمى .

والدة عصام : وعليكم السلام يا حبيبى ..... أحضرلك الغداء ؟

عصام : لا يا أمى اتغديت بره ..... إنتوا اتغديتم ؟

والدة عصام : لما لقيناك اتأخرت اتغديت أنا وطارق .

عصام : وهو فين ؟

والدة عصام : اتغدى ونام .

ضربت والدة عصام براحتها على جبهتها قائلة :

بالحق كنت هنسى فيه واحدة خوجايه اتصلت من شوية ، قبل ما تيجى على طول اســـمها نور ولا ما عارفة نورا ..... أنا بالعافية عقبال مافهمت كلامها .

عصام : أيوه نورا .

والده عصام : بتقول إنها اتصلت بيك فى التليفزيون وملقيتكش وقالت هتبقى تكلمك تانى .

عصام : تمام يا أمى .

والده عصام : مش هى دى زميلتك الألمانية اللى كنت عايز تتجوزها.

عصام : أيوه هى ..... .

والده عصام : تحب أعمل لك شاى .

عصام : لا يا أمى أنا هدخل أنام شوية .... .

فى تلك الأثناء دق جرس الهاتف ، فرفع عصام سماعة الهاتف قائلاً : ألو ..... نورا ..... إزيك يا نورا وحشتينى أوى ..... أيوه ماما قالت لى إنك إتصلتى بيا ..... بجد ..... .

والده عصام : ما تعزمها تيجى تتغدى معانا بكرة .

عصـــام : ماما عازماكى على الغداء بكرة ..... لا لا مفيش اعتذرات إنتى عايزة ماما تزعل ..... خلاص أنا بكرة هعدى آخدك من الفندق ..... الساعة ٢ كويس ..... تمام مع السلامة .

(١٢)

وفى اليوم التالى ذهب عصـــام لإحضـــار نورا ، والتى كانت فى انتظاره وهى فى كامل زينتها وتأنقها ، وقد جمعت شـــعرها الأشـــقر للخلف بطوق ملون إلا من بعض خصلات قصيرة انسالت فوق جبينها فزانتها حسـناً وجمالاً، وما إن رآها عصـام حتى أطلق صـفير إعجاب قائلاً :إيه الحلاوة دى، ثم استقلا سيارته واتجها إلى منزله بالمهندسين.

دق جرس الباب فقالت والدة عصـــام لولدها الصـــغير : قوم شـــوف مين يا طارق .

فتح طارق الباب وصـــاح قائلاً عندما شـــاهد أخاه : دا أبيه عصـــام يا ماما .

عصام : اتفضلى يا نورا .

نورا : السلام عليكم .

طارق : وعليكم السلام .

عصام : أعرفك .... طارق أخويا الصغير .... فى تانية إعدادى .

مدت نورا يدها وصافحت طارق : ازيك طارق .

طارق : الحمد لله .

حضـــرت والده عصـــام من المطبخ وما إن رأت نورا حتى بش وجهها فمددت يدها وسـلمت عليها ثم احتضـنتها وقبلتها قائلة : سـلام عليكم .... ازيك يا حبيبتى ..... أحنا بيتنا نور أنهاردة .....

نورا بعربية ركيكة : ازيك ..... أنا مبسوطة كتير إن أنا شوفتك ماما.

والدة عصام : إحنا الأسعد يا حبيبتى ..... بسم الله ما شاء الله عليكى زى القمر..... أنا حبيتك لله ف لله ..... اتفضلى استريحى .

نورا : شكرا ماما .... .

والدة عصـــام : إنتى أحلى كتير من الصـــورة اللى كانت فى بالى ثم استدركت قائلة : بعد إذنك يا حبيبتى ..... يالا يا طارق علشان نحضر السفرة .

طارق : حاضريا ماما .

جلس عصـــام ونورا بغرفة الجلوس يتبادلان الحديث حتى تنتهى والدة عصام من تجهيز مائدة الطعام .

والدة عصام : يالا يا جماعة الغداء جاهز .

أعدت والدة عصـــام مائدة زخرت بما لذ وطاب من الأطعمة المصرية الشهية.

أجلس عصـــام نورا فى صـــدر المائدة وجلس هو بجوارها قائلاً : أكل مصرى هتكلى صوابعك وراه .

وتشير نورا لطبق وضعته والدة عصام أمامها : إيه دا عصام ؟

عصـــام : دى ملوخية ..... دى تعتبرمن أشـــهر الأكلات المصـــرية دوقيها هتعجبك أوى .

نورا : الله طعمها حلو أوى ..... تسلم إيدك ماما .

والدة عصـــام : بالهنا والشـــفاء ياحبيبتى ..... دوقى بقا المحشـــى بتاعنا..... ما تعزم عليها يا عصام

تردد نورا متسائلة : محشى .

عصام : محشى ورق عنب ..... اليونانيين بيسموه ضلمة .

أومأت نورا برأسها : أيوة .... أيوة .

يميل طارق برأســـه ناحية أخيه الذى يجلس بجواره قائلاً بصـــوت خفيض : أبيه عصام .

عصام : أيوه يا روقة .

طارق : صاحبتك نورا حلوة أوى ..... إسالها لوعندها أخت صغيرة شعرها أصفر وعينيها خضراء ..... أنا مستعد أسافر ألمانيا وأكمل دراستى هناك ..... .

وما إن سمعته والدته التى كانت تجلس أمامه حتى زجرته قائلة : ولد

نورا : بيقول إيه ؟

تلعثم عصـام : بيقول إيه ..... بيقول نورتى مصـر ويا ريت تفضـلى هنا على طول .

نورا : شكراً طارق .

وبعد أن انتهوا من طعامهم .

عصام : يا ترى عجبك الأكل المصرى بتاعنا .

نورا : جداً عصـــام ..... عمرى ما أكلت قبل كده بالشـــهية دى ، أنا حاسه إنى زدت ٥ كيلو على الأقل .

يضـحك عصـام قائلاً : بالهنا والشـفاء ..... تعالى اقعدى فى البالكونة ..... القعده فيها تجنن .

نورا : أوكى .

والدة عصام : وأنا هعملكم الشاى .

إبتسم عصام فى وجه نورا قائلاً : أنا شايف إن دروس العربى اللى اديتهالك فى ألمانيا جابت نتيجة .

تضحك نورا قائلة : إيه رأيك ؟

حلق عصام بالسبابة والإبهام قائلاً : ممتازة .

نورا : عصام فاكرالبروفسير جيرهارد ؟

عصام : طبعًا فاكره .

نورا : عامل حفلة فى فيلته فى المعادى بمناسبة عيد جوازه العشرين.... ووصانى أوجه لك الدعوة .

عصام : وإمتى الحفلة ؟

نورا : السبت الجاى .

يتمتم عصام بصوت مسموع : السبت الجاى .

نورا : وراءك ارتباطات يوم السبت .

عصام : لا أبدًا ..... بلغيه إنى قبلت دعوته ..... طبعًا هشوفك هناك.

نورا : مع الأسف لا ..... لأنى هكون فى الأقصر .

عصام : إنتى خلصتى تصوير هنا .

نورا : أيوة وهسافر الأقصر الخميس الجاي .

عصام : هتسافري فى القطر .

نورا : لا فى باخرة نيلية .

عصام : وهتقعدى هناك قد إيه ؟

نورا : ٢٠ يوم ..... ١٥ يوم فى الأقصر و٥ فى أسوان .

وفى تلك الأثناء دخلت والده عصـــام حاملة بيدها صـــينية بها فنجانين من الشـاى وضـعتهما على منضـدة صـغير قائلة : أحلى شـاى بالنعناع لأحلى نورا .

عصام : تسلم إيديكي يا ست الكل .

نورا : تسلم إيديكي ماما .

ولما انصرفت والدة عصام .

عصام : وإيه رأيك فى مصر ؟

نورا : مصر بلد جميلة أوى ..... وأهلها حلوين كتير .

عصام : مش عايزة تقعدى فيها على طول .

نورا : يا ريت يا عصام .

عصام : طب محنا فيها .

ترمقه نورا بنظرة ذات مغزى : أعتقد إنى فهمت قصدك .

عصام : وإيه رأيك فى اللى فهمتيه .

نورا : عصام إنت لسه بتحبنى فعلا ؟

يمســـك عصـــام بكفيها ويضـــغط عليهما بحنان بين راحتيه قائلاً : أنا مش هجاوبك على ســـؤالك ده لإنك بالتأكيد عارفة الإجابة ..... لكن هسألك نفس سؤالك ..... نورا إنتى لسه بتحبينى ؟

نورا برقة : وأنا هجاوبك بنفس إجابتك لأنك بالتأكيد عارف حقيقة مشاعرى ناحيتك .

يهزعصـــام كتفيه : خلاص يبقى نتجوز ونعيش مع بعض هنا ..... وإنتي شوفتى ماما وأخويا بيحبوكى قد إيه .

نورا : طب وليه منتجوزش ونعيش فى ألمانيا ..... ثم يتغير وجهها وتكسـو ملامحها الجدية وتسـتطرد قائلة : عصـام إنت عارف مشكلتنا الحقيقية فى إيه ؟

عصام : فى إيه ؟

نورا : إن كل واحد فينا مش عايز يتنازل عن حبه وارتباطه بوطنه إنت عايز تعيش فى مصـر وتحقق طموحك وأحلامك فيها..... وأنـا عـايزة أعيش فى ألمـانيـا وأحقق طموحى وأحلامى فيها..... يعنى علشـان نتجوز لازم واحد فينا يتنازل عن طموحـه وأحلامـه اللى كـان عـايز يحققها فى بلده ، ويحـاول يحققها فى بلد التاني..... ترضى تتنازل عن طموحك وأحلامك هنا وتيجى تحققهم معايا فى ألمانيا .

يسود الصمت للحظات

نورا : أديك سكت ..... وأنا برضه محتاجة أحقق طموحي وأحلامي فى بلدي .

أدرك عصـام أن نورا معها الحق فيما تقول فقال مسـتسـلماً : فعلًا عندك حق فى كل اللى قولتيه .

(١٣)

عاد عصـام لعمله بالتليفزيون ، وسـافرت نورا للأقصـر وأسـوان لاستكمال تصوير فيلمها الوثائقى، وفى مساء يوم السبت ذهب عصام لتلبية دعوة البروفسير جيرهارد.

عصام : كل عيد جواز وإنت طيب بروفسير جيرهارد .

جيرهارد : وانت طيب يا عصـام ..... كنت خايف أحسـن متجيش أو تكون نورا نسيت تبلغك دعوتى .

عصام : لا نورا بلغتنى قبل ما تسافر .

جيرهـارد : أعرفـك بزوجتى هليجـا..... عصـــــام مخرج تليفزيونى مصرى **ثم يضحك قائلاً :** وبيتكلم ألمانى كويس .

يصافح عصام هليجا قائلاً : عيد زواج سعيد فراو جيرهارد .

هليجا : شكراً على ذوقك وعلى تشريفك الحفلة... اتفضل تشرب إيه؟

عصام : أنا مبشربش .

هليجا : ولا أى حاجة ..... ولا بيرة حتى .

عصام : ممكن أشرب بيرة .

هليجا : بعد اذنك .

عصام : اتفضلى .

جلس عصـام على أحد المقاعد وأخذ يدور ببصـره فى أرجاء المكان ، فشاهد وصول سميث والد نورا وترحيب جيرهارد وزوجته به .

سميث : مساء الخير جيرهارد ..... مساء الخير هليجا ..... كل عيد جواز وإنتوا طيبين .

جيرهارد وهيلجا : وانت طيب سميث .

هيلجا : نورا سافرت ولا لسه ؟

سميث : أيوه سافرت يوم الخميس اللى فات .

هيلجا : تيجى بالسلامة .

جيرهارد : اتفضل يا سميث ..... تشرب إيه ؟

يميل سـميث برأسـه ناحية جيرهارد قائلاً : ما إنت عارف مشـروبى المفضل يا عزيزي .

يضحك جيرهارد بخبث : ويسكي ..... اتفضل استريح يا عزيزى وأنا هجيب لك كأسك .

سميث : أوكي .

وقع بصـر سـميث على عصـام فإتجه ناحيته مبتسـماً ومد يده مصـافحاً إياه : إزيك يا أستاذ عصام ؟

عصام : الحمد لله بخير .... وإزى حضرتك دكتور سميث ؟

سميث : بخير ..... وإزى شغلك فى التليفزيون ؟

عصام : الحمد لله .... كله تمام .

وفى تلك الأثناء حضـــرت هيلجا يرافقها خادم حاملاً صـــينية بها كؤوس الخمر .

أخذت هيلجا كأساً قدمته لسميث : اتفضل كأسك دكتور سميث .

سميث : شكراً هليجا .

وأخذت كأساً أخر قدمته لعصام : البيرة بتاعتك أستاذ عصام .

تناوله عصام منها قائلاً : شكراً لذوقك فراو جيرهارد .

هليجا : بعد اذنكم .

عصام وسميث : اتفضلى .

رشف سميث من كأسه ثم نظر لعصام قائلاً : على فكرة نورا كلمتنى النهاردة من الأقصر ..... وقالت لى لو شوفت عصام فى الحفلة إبقى سلم لى عليه .

عصام : الله يسلمها .

سميث : على فكرة هى كانت مبسوطة كتير يوم ما إنت عزمتها على الغداء عندكم ..... وبتقول مامت عصـــام ســـت طيبة أوي ..... ثم رفع الكأس على فمه ودفع ما بقى به من خمر فى حلقه دفعة واحدة ثم أردف قائلاً : عصـام نورا حكت لى على كل حاجة ..... .

عصام : بجد

ربت سميث على كتف عصام وهو يقول : علشان تبقى عارف أنا مش معترض على جوازك من نورا ..... بالعكس أنا مرحب بيك جداً ..... لإنك إنســـان محترم وباين عليك من أصـــل طيب..... لكن أنا فى موضوع جوازها تارك لها حرية الاختيار ..... .

أطرق عصام برأسه قائلاً : مفهوم ... مفهوم دكتور سميث .

ويقطع حديثهما وصول هانز و زوجته مادلين .

هانز : ازيك دكتور سميث .

سميث : أهلا هانز ..... إيه أخبارك ؟ ازيك يا مادلين ؟

مادلين : ازيك أنت يا دكتور ..... ازيك يا أستاذ عصام .

عصام : بخير مادلين ....ازيك هر هانز ؟

هانز : بخير .

سميث ضاحكاً : وإيه أخبار خيلك الجامح ؟

أشـــعل هانز ســـيجارة فقال ضـــاحكاً وهو ينفث دخانه فى الهواء : مستنين اللى يروضهم ..... ولا إيه يا مادى ؟

مادلين بلهجة تحمل الكثير من السخرية : أنا شايفة أن ترويض الخيل أسهل من ترويض البنى آدمين .

هانز : عندك حق يا عزيزتى ..... ما أمريكا بقالها أكتر من عشـــر سـنين بتحاول تروض عبد الناصـر اللى عامل زى الحصـان الجامح .

سميث : قصدك إنها تروضه علشان ينفذ سياساتها فى الشرق الأوسط ..... سياساتها اللى بتخدم مصالح إسرائيل .

تشير هليجا لمادلين ...

مادلين : بعد اذنكم علشان هليجا بتشاورلى .

سميث : أهو جيرهارد والبرت جم علشان يشتركوا معانا فى الحديث.

عصـام : أنا شـايف إن عبد الناصـر قدر يملى الفراغ اللى كان موجود قبل ما يمسـك الحكم..... وإنه أصـبح زعيم للأمة العربية بلا منافس ، وإن سـبب كره الأمريكان له هو رفضـه الدخول فى سـياسـة الأحلاف..... وحضـراتكوا فاكرين طبعًا لما أمريكا حاولت تضـم عبدالناصـر لحلف بغداد وهو رفض وتبنى مع نهرو وتيتو ســـياســـة عدم الانحياز ، بجانب طبعًا التقارب المصرى السوفيتى من عام ٥٦ .... .

أشـــعل جيرهارد غليونه ثم عقب قائلاً : فعلًا ..... أنا شـــايف إن التقارب المصـرى السـوفيتى السـبب فيه الأمريكان نفسـهم لما رفضـوا تمويل السد العالى إكرامًا لإسرائيل ..... فكان طبيعى إن عبدالناصـر يترمى فى أحضـان السوفيت اللى وقفوا جنبه ووافقوا يمولوا بناء السد، بجانب إعادة تسليح الجيش المصرى ..... .

ويقطع حديثه وصول المستشار كارل فيرمان ...

كارل : ازيكوا ياجماعة ..... بتتكلموا فى السياسة برضه .

جيرهارد : بالتأكيد كارل .

يشير كارل إلى عصام : أنا شايف وجه جديد .

جيرهارد : نسيت أعرفك بصديقنا الجديد ..... الأستاذ عصام مخرج تلفزيونى درس فى ألمانيا وكان زميل نورا بنت الدكتور سميث ..... كارل فيرمان مستشار بالسفارة الالمانية .

كارل : تشرفنا يا أستاذ عصام .

عصام : الشرف لينا هر كارل .

كارل بانزعاج : الظاهر الجماعة اليهود مش ناويين يجبوها البر .

هانز : إيه عملوا حاجة جديدة ؟

كارل : امبارح جالى اتصال من زيورخ من صديقى فريدريك المستشار بسفارتنا فى سويسرا ..... بيقول لى إن البوليس السويسرى قبض على اتنين من عملاء الموساد كانوا بيهددوا كلوديا بنت البروفسير أروين هسلر .

بذل هانز جهداً لإخفاء انفعاله قبل أن يعقب بدهشة قائلاً: مش معقول!

كارل : هو ده اللى حصل ..... فى الأول عرضوا عليها فلوس كتير كنوع من الإغراء علشان تأثر على والدها وينسحب من المشروع المصرى ويرجع ألمانيا تانى ..... قالت لهم ولو رفضت عرضكم ده هيحصل إيه ؟ قالوا لها هنقتل البروفسير .

جيرهارد بلهفة : وكلوديا عملت إيه ؟

كارل : البنت طلعت ذكية ..... أظهرت لهم أنها وافقت على عرضهم وأنها هتقنع والدها بالإنسحاب من المشروع المصرى مقابل ١٠٠ ألف دولار..... وبلغت البوليس السويسرى فعملوا لهم كمين وسجلوا المقابلة وقبضوا عليهم متلبسين وهما بيسلموا الفلوس لكلوديا .

طرب عصام مما سمع فقال بحماس : برافوا عليها .

هانز باقتضاب : ويا ترى اعترفوا بإنهم من الموساد ؟

كارل : فى الأول أنكروا ..... لكن بعد كده إعترفوا بكل حاجة .

جيرهارد : أكيد الموضوع ده اتسبب فى أزمة بين إسرائيل وسويسرا.

كارل : دا اللى حصل فعلًا ..... سويسرا قدمت احتجاج شديد اللهجة لإسرائيل ، وحذرت فيه أن أرضها تكون مسرح للعمليات المخابراتية بين أطراف الصراع فى الشرق الأوسط ..... فإسرائيل بعتت وفد رفيع المستوى لسويسرا علشان يحل المشكلة دى ، قبل ما الموضوع يكبر ويوصل للصحافة .... لإن اللى حصل ده يعتبر فضيحة وفشل ذريع للموساد الاسرائيلى ..... .

أشار كارل للجميع بسبابته محذراً : طبعًا الموضوع ده ميخرجش بره ..... لأنه لحد دلوقت يعتبر سر .

الجميع فى صوت واحد : بالتأكيد ..... بالتأكيد كارل .

البرت : اللى بتعمله إســـرائيل معانا دلوقت ، بيثبت أن هتلر كان معاه حق فى كل اللى عمله فى اليهود ، لما قال أنهم سبب كل البلاء اللى حل بالعالم .

أشـاح هانز بيده مسـتنكراً : متنسـاش أننا دلوقت بندفع ثمن اللى عمله هتلر فى اليهود ..... لما حرق ستة مليون يهودى فى أفران الغاز .

بـدا على وجـه جيرهـارد الامتعـاض من جملـة هـانز فعقـب قـائلاً : هانز إنت بتردد نفس الكلام اللى بيقولوه للعالم .....إن ســـت ملايين يهودى ماتوا فى الهولوكست..... مع أننا عارفين كويس إن اللى ماتوا فى أفران الغاز أقل بكتير من الرقم ده ، وإنهم حسـب أقصـى تقدير ما يزيدوش عن٦٠٠ ألف .

البرت : فعلًا جيرهارد .... هما عرفوا يكســبوا تعاطف العالم بالكذب والتضـــليل ..... وعملوا بمســـاعدة حلفاءهم وعلى رأســـهم الولايات المتحدة بالطبع ، بالضـــغط على ألمانيا علشـــان تدفع تعويضات لضحايا الهولوكست المزعوم .

عصـــام : يبقى على كده إســـرائيل بتعتبرالألمان اللى بيســـاعدوا مصر نازيين ؟

أومأ ســميث برأســه : هوكده فعلًا ..... لأنهم بيعتبروا اللى مش فى صـفهم عدوهم ..... بدليل إنهم بعتوا لنا جوابات تهديد علشـان نسيب مصر ، ولما رفضنا بدأوا تنفيذ تهديدهم .

عصام بدهشة : معقولة .

كارل : فعلا هما نجحوا السنة دى فى اغتيال اتنين من علماءنا .

هانز : اللى أعرفه عن اليهود من تعاملي معاهم إنهم مبينسوش تارهم .... وإنتوا شوفتوا السنة اللى فاتت إزاى قدروا يجيبوا ايخمان من الأرجنتين ويبعتوه إسرائيل ويحكموا عليه بالأعدام ..... .

جيرهارد : فعلًا ..... دول عملوا ضجة كبيرة واعتبروها أكبر عملية ناجحة للموساد .

عصام : بعد اذنكم أنا مضطرأنسحب من المناقشة الساخنة دى ..... هأخرج أشم هواء فى الجنينة شوية .

الجميع : اتفضل .

خرج عصام إلى حديقة الفيلا ووقف بجوار إحدى الاشجار يسترجع مادار بالداخل من أحاديث ، ولم يشعر إلا بيد رقيقة تربت على كتفه قائلة : عصام .

التفت عصام فوجد مادلين ثم التفت يميناً ويساراً وحينما لم يجد أحداً أمسك يدها قائلا : ماجى .

مادلين : أنا لقيتك خرجت وسبتهم ..... استنيت شوية وقلت أجيلك .

عصام : لقيتهم بيتكلموا فى السياسية شاركتهم الحديث شوية ..... وبعد كده مقدرتش فإستأذنت وخرجت .

مادلين : إنت مبتحبش تتكلم فى السياسة .

عصام : مش أوي ..... لكن بحكم المهنة أحب أتكلم فى الفن .... السينما..... المسرح ..... التليفزيون .

ابتســـمت مـادلين وهى تنظر فى عينيـه ثم عقبت بخبث قـائلـة : فى الفن بس .

هزعصـــام رأســـه مبتســـماً وقد أطلت من عينيه نظرة ماكرة : قصدك إيه؟

مادلين برومانسية : وحشتنى أوى يا عصام .

يمسك عصام يدها ويقبلها : وأنتى أكتر يا ماجى .

ثم تضرب بيمناها برفق على ظهر كفه قائلة : على فكرة هانز مسافر ألمانيا بعد بكرة الصبح .

عصام : وإنتى مش مسافرة معاه ؟

مادلين : هو كان عايزنى أسافر معاه ..... لكن قولت له سافر لوحدك .....عارف ليه ؟

عصام بخبث : ليه ؟

مادلين : علشان أفضل معاك .

عصام : وهيقعد قد إيه ؟

مادلين : أسبوع ..... ما تيجى نقضى الأسبوع ده مع بعض .

عصام : صعب أوى يا حبيبتى ..... اليومين دول عندى تصوير مهم ومقدرش آخد أجازة .

مادلين : هو ينفع أجيلك التليفزيون وأحضر معاك التصوير .

عصـــام : مع الأســـف ممنوع يا حبيبتى ..... دخول مبنى الإذاعة والتليفزيون لازم له تصريح .

مادلين بغضـب : يعنى أنا مرضـيتش أسـافر مع هانز علشـان أفضـل معاك ، وإنت تقول لى مشغول .

عصام : إهدي يا حبيبتى ..... أنا عمرى ما شوفتك عصبية كده .... .

مادلين بعصبية : ما إنت السبب .... .

عصـــام : أرجوكى إهدي علشـــان محدش ياخد باله ..... الله هو إنتى من درسن .

مادلين وقد هدأت عصبيتها قليلاً : وإشمعنى درسن ؟

عصام : دايما كنت أسمع إن المدينة دى أهلها عصبيين وخُلقهم ضيق.

مادلين : لا أنا من هانوفر .

عصام : وهانز كمان من هانوفر ؟

مادلين : هانز أساساً من سليزيا .

لفتت إسم المدينة انتباه عصام فأخذ يردد بصوت خفيض : سليزيا .... سليزيا ..... ثم رفع صوته قائلاً : يعنى هانز بولندى مش ألمانى .

مادلين : أيوة هانز أصـــله بولندى ..... هاجر من بولندا مع بداية الحرب ورجع تاني لما الحرب خلصـت لكنه مسـتقرش هناك ..... وجه ألمانيا واشتغل هناك علشان فرص العمل فى ألمانيا الغربية كانت أحسن ..... .

عصام : وطبعا شافك هناك واتجوزتوا .

مادلين : فعلا اتقابلت أنا وهو فى حفلة وبعد كده إتجوزنا ..... ثم تغير دفة الحديث قائلة : سيبنا من هانز دلوقت ..... عايز تشوفني ولا أسافر مع هانز وأحلف ما تشوفني تاني .

يمسك عصام ذقنها بأنامله ويرفع وجهها ثم ينظر فى عينيها الزرقاويين قائلاً : إنتي كدابة كبيرة ..... بصى فى عينيا كده .

ابتسمت مادلين ابتسامة عريضة قائلة برقة : أنا زعلانة منك .

قبلها عصام من شفتيها ثم أردف قائلاً : لسه زعلانة .

مادلين بدلع : شوية .

عصام : شوفى يا حبيبتي ممكن نسهر مع بعض يوم الاتنين ، يعني بعد بكرة ..... نتقابل الساعة تسعة كويس ؟

مادلين : كويس ... إيه رأيك هستناك تحت البيت ؟

عصام : لا بلاش نتقابل عند البيت عندك ..... هتستناكى فى كازينو مولان روج اللى فى الهرم ، زى ما قولت لك الساعة تسعة ..... هتلاقى ترابيزة محجوزة باسم عصام زاهر ..... تمام .

مادلين : تمام .

عصام : دلوقت هخش أقعد معهم شوية علشان محدش يلاحظ حاجة وبعد كده هستأذن وأمشى ..... سلام يا ماجى .

مادلين : مع السلامة يا حبيبى .

(١٤)

وفى اليوم التالى ذهب عصام لمقابلة محمودعزت حسب الميعاد المتفق عليه بينهما.

محمود : أهلا عصام ..... اتفضل .

عصام : ازيك يا محمود بيه .

محمود : الحمد لله ..... إيه الجديد عندك .

عصام : أخبار مهمة جداً وخطيرة .

محمود : إحكى لى كل اللى حصل بالظبط ، علشان قدر أحدد إذا كانت مهمة وخطيرة ولا لا .

قص عصـــام على محمود ما دار من أحداث فى الأيام الســـابقة، منذ دعى نورا لتناول الغذاء بمنزله ، وذهابه لمنزل جير هارد تلبية لدعوة وجهها له مع نورا ، وما دار فى الحفلة من أحاديث بين العلماء وختمها بحديثه مع مادلين .

محمود : عندك حق يـا عصـــام ..... المعلومـات دى فعلاً مهمـة وخطيرة ..... معلومـة القبض على عملاء الموســـاد فى سـويسـرا ، والمعلومة اللى قدرت تجيبها من مادلين إن هانز بولندى مش ألمانى ..... طب مفيش حاجة لفتت انتباهك فى الحفلة غير اللي حكيتهولى دلوقت .

عصام : فيه .... لما كارل حكى لنا حكاية القبض على عملاء الموساد لاحظت أن هانز هو الوحيد بين الموجودين اللى بان عليه الضـــيق ، برغم أنه حاول يدارى إنفعاله ..... ولما مادلين قالت لى إن هانز بولندى شـــكيت أنه ممكن يكون يهودي من يهود بولندا اللى هتلر حرقهم فى أفران الغاز، وممكن يكون ده سبب كرهه للألمان ..... وده أكد لى شك حضراتكم فيه وإنه ممكن يكون فعلا بيتجسس لحساب إسرائيل ..... .

فرقع محمود بأصابعه وأشار لعصام بسبابته قائلاً : هايل يا عصام ..... ملاحظة مهمة وفى محلها ..... على فكرة حكاية إن هانز بولندى وأنه ممكن يكون يهودي مش مســتبعدة وممكن كمان ميكونش هانز ده إسمه الحقيقى .

عصام : فعلًا ..... أنا قلت كده برضه .

محمود : ودلوقت عايزك تكتب التقرير بتاعك عقبال ما أخش المطبخ أعمل فنجانين قهوة .

عصام : اتفضل إنت استريح يا محمود بيه وأنا هعمل القهوة .

محمود : لا المرة دى أنا اللى هعملها ..... علشـــان تدوق القهوة بتاعتى .... وإياك تعيب عليها .

(١٥)

مبنى المخابرات العامة :

يطرق محمود عزت باب غرفة فاضل الكيلانى.

محمود : صباح الخير يا فندم .

فاضل : صباح الخير يا محمود .

محمود : سيادتك قريت التقرير .

فاضل : أيوه قريته ..... المعلومات اللى قدرعصام يحصل عليها مهمة جداً وهتساعدنا كتير فى الوصول للحقيقة.... العميل بتاعك أثبت جدرته وأكد لنا أنك كنت موفق لما وقع أختيارك عليه للمهمة دى.

محمود : الحمد لله يا فندم ..... ده توفيق من ربنا سبحانه وتعالى .

فاضل : وإيه أخبار هانز ؟

محمود : سافر المانيا أول امبارح فى طيارة ١٠،٣٠ صباحاً ..... على فكرة فيه معلومات جديدة عرفتها عن هانز لما قبلت عصام قبل ماجى لسيادتك دلوقت ، مش موجودة فى التقرير ، لأنه كلمنى الصبح بدرى وطلب يقابلنى ..... .

فاضل : خير .

محمود : بيقول أنه لما كان سهران مع مادلين امبارح أنها شربت كتير..... فقالت له إن هانز بيسافر ألمانيا كل فترة علشان بيتعالج هناك ..... .

فاضل : بيتعالج من إيه ؟

يبتسم محمود قائلاً : الضعف الجنسى ..... وإنها قالت له إن محدش هنا فى مصر يعرف الموضوع ده ولا حتى صحابه الألمان .

يضحك فاضل قائلاً : علشان كده اترمت فى حضن عصام .

محمود : بالظبط سيادتك ..... وقالت له إن هانز له بنت فى ألمانيا من مراته السابقة إسمها مونيكا عندها ١٢ سنة ، وأنه بيشوفها كل ما بينزل ألمانيا ..... وقالت له الزيارة دى هانز هيقعد فى المانيا ٣ أيام ، وبعد كده هيطلع على باريس علشان عنده شغل هناك .

عقد فاضل حاجبيه دهشة ثم قال : باريس ! قالت له حاجة تانى ؟

محمود : لا..... لكن يا فندم برغم شكوكنا فى هانز ، لحد دلوقت مش قادرين نمسك عليه حاجة ..... يعنى إحنا عارفين أنه ساكن فى شقة فى الزمالك وفى المنطقة دى الأجهزة بتاعتنا ملقطتش أى رسالة مبعوته لخارج مصر .

فاضل : ممكن يكون بيستقبل رسائل بس وممنوع إنه يبعت أى رسائل علشان ميتكشفش .

محمود : ممكن طبعًا ..... علشان كده أنا انتهزت امبارح فرصة سفر هانز ، وإن مادلين مراته كانت سهرانة مع عصام بره الشقة ..... وخليت رجالتنا يدخلوا الشقة ويفتشوها تفتيش دقيق .

فاضل : ولقيتوا حاجة ؟

محمود : مع الأسف ..... ملقيناش حاجة

فاضل : لكن أنا حاسس إن سفرية هانز لباريس المرة دى وراها حاجة كبيرة ..... .

محمود : وإيه اللى قالق سيادتك من السفرية دى بالذات ؟

أشار فاضل لمحمود بسبابته قائلاً : التوقيت يا محمود ..... التوقيت ..... لإن الموساد هيحاول يعوض فشله فى عملية زيورخ اللى اتقبض فيها على اتنين من عملاءه ..... ويرد بعملية ناجحة هنا فى مصر .....علشان يبعت رسالة لينا وللألمان إن ايديهم طايلة وإنهم مش ساكتين .

محمود : وجهة نظر سليمة يا فندم .

فاضل : ربنا يستر وميقدرش ينفذ عملية جديدة ، قبل مانكون جمعنا الأدلة اللى تدينه ونقبض عليه .

محمود : كله بأمر الله يا فندم ..... .

فاضل : علشان كده هانز لازم يتحط تحت مراقبة دقيقة..... يعنى مراقبة ٢٤ ساعة فى ال٢٤ ساعة ..... مفهوم يا محمود .

محمود : مفهوم سيادتك.... ثم ينهض قائمًا : تؤمرنى بأي شيء سيادتك .

فاضل : لا اتفضل انت يا محمود .... ربنا يوفقك .

(١٦)

مكث هانز فى ألمانيا ثلاثة أيام التقى خلالها بابنته مونيكا وطبيبه المعالج ، ثم استقل الطائرة إلى باريس وهناك حل ضيفاً بفندق انتركونتيننتال الذى اعتاد النزول به كلما جاء فرنسا، وفى المساء توجه لأحد البنايات بشارع بوليفارد هوسمان ، واستقل المصعد وضغط زر الطابق الخامس ، وحينما وصل للطابق الخامس أغلق باب المصعد ونزل على قدمه للطابق الرابع ثم وقف أمام أحدى الشقق ودق جرس الباب ثلاث مرات ، ففتح له شخص فى منتصف العقد الخامس ، وما إن رأى هانز حتى بش فى وجهه وصافحه **قائلاً :** حمد لله على السلامة هانز ..... نورت باريس .

هانز : الله يسلمك يا بنيامين .

ثم أدخله الشقة وأغلق الباب وجلسا سوياً على إحدى الأرائك .

بنيامين : وإيه أخبار مونيكا ؟

هانز : بخير ..... بخير بنيامين .

بنيامين : وإيه الأخبار فى مصر ؟

يخرج هانز من جيبه مفكرة صغيرة يناولها لبنيامين قائلاً **:** أنا كاتب كل حاجة فى النوتة دى .

يضع بنيامين المفكرة أمامه على المنضدة قائلاً : بعدين نستخدم المُظهر علشان نظهر الكتابة اللى بالحبر السرى ..... على فكرة مجرد ما ترجع مصر حاول تتخلص من الحبر السرى والمُظهر اللى عندك... إنت بقالك أكتر من سنة بتستعمله من ساعة ما روحت مصر.

هانز : يبقى أكيد علماءنا فى إسرائيل إخترعوا حبر سرى جديد .

بنيامين : العلم كل يوم فيه جديد هانز ..... فعلا أنا هديك حبر سرى جديد ومُظهر ..... ودلوقت عايزك تحكى لى كل المعلومات اللى عندك .

هانز بفتور : ما قلت لك أنى كاتب كل حاجة فى النوتة اللى معاك .

بنيامين : ما إنت عارف طريقة شغلنا هانز ..... لازم تحكى لى الأول كل حاجة بالتفصيل ، وبعد كده أقرأ التقرير اللى إنت كتبته .

هانز : تمام بنيامين .

قص هانز على بنيامين على مدى أكثر من ثلاثة ساعات كل ما حدث أثناء تواجده بمصر ، وكانا خلال تلك المدة يدخنان السيجار ويحتسيان كؤوس الخمر .

بنيامين : هوده كل اللى حصل .

هانز : وبالتفصيل .... هو صحيح اللى قاله كارل عن عملية زيورخ .

ضغط بنيامين على شفتيه غيظاً : مع الأسف صحيح ..... كلوديا بنت البروفسير أروين هسلر خدعتنا واتفقت مع البوليس السويسرى وعملوا كمين لرجالتنا .

أحمر وجه هانز وانتفخت أوداجه وقال بغضب : بس ده يعتبر فشل ذريع لجهاز المخابرات الإسرائيلى ..... إزاى بعد النجاح الكبير اللى حققه الموساد السنة اللى فاتت فى عملية ايخمان يحصل إخفاق بالشكل ده ..... إزاى بنت عادية مش مدربة ولا تعرف حاجة عن أعمال المخابرات والتجسس قدرت توقع اتنين مدربين ..... مش ده اسمه فشل واخفاق .

بنيامين : أرجوك تهدأ هانز .

هانز بعصـــبية : أهدا إزاى ..... انت معندكش فكرة أنا كنت عامل إزاى لما كارل فيرمان كان بيحكى اللى حصل، أنا كنت هتجن.

بنيامين : أوعى يكون حد من الموجودين لاحظ عليك حاجة .

هانز وقد هدأت ثورته : لا اطمن ..... متنساش بنيامين أنا مش مجرد عميل للموســاد فى مصــر..... أنا يهودى وحاربت تحت اللواء الإســـرائيلى اللى كان جزء من الجيش البريطانى فى الحرب العالمية التانية ..... أنا ضـــابط برتبة ميجور فى جيش الدفاع يعنى نفس رتبتك فى الموساد .

بنيامين : أنا منستش هانز ..... أنا عارف كل ده ..... وعلشان تبقى عارف ، اللى حصـل ده عمل انقلاب فى الموسـاد وفيه ضـباط أحيلوا للأعمـال الإداريـة .....لإن بن جوريون عنف عزرا رئيس الجهاز تعنيف شديد .

هانز : وصولى باريس المرة دى له علاقة بالموضوع ده ؟

بنيامين : مش بالظبط .

هانز : وإيه المطلوب منى بالتحديد ؟

بنيامين : شـوف يا سـيدى ..... نشـاطك هيفضـل زى ما هو بس فيه شويت تعديلات .

هانز : تعديلات زى إيه ؟

بنيامين : لازم تأجر فيلا فى منطقة الهرم .

عقد هانز حاجبيه دهشة قائلاً : ومالها شقة الزمالك ؟

بنيامين : شـــقة الزمالك صـــغيرة ..... يعنى مينفعش تعمل فيها حفلة وتعزم فيها عدد كبير من الأشخاص ..... صح .

صمت هانز قليلاً ثم قال : صح بنيامين .

بنيـامين : أمـا لو عنـدك فيلا فتقـدر تعمـل فيهـا حفلـة كبيرة لأنهـا هتسـتوعب عدد كبير من الأشـخاص ..... علشـان كده بمجرد وصولك مصر تنزل تدورعلى فيلا فى منطقة الهرم .... .

هانز : وإشمعنى الهرم ؟

بنيامن : لأن الهرم منطقة مطرفة وبعيدة عن زحمة القاهرة ..... ولما تلاقى الفيلا المناسبة ، هتعمل حفلة وتعزم فيها أصدقاءك الألمان بمناسبة عيد رأس السنة ، يعنى بعد خمس أسابيع من دلوقت لإننا هنخليك تزرع أجهزة تصـــنت فى كل مكان فى الفيلا بحيث تسجل الأحاديث الجانبية اللى بدور بينهم .... لأن الألمـان ممكن يقولوا لبعض كلام مهم ، وإنـت مش موجود معاهم ..... الكلام ده ممكن يفيدنا .

أومأ هانز برأسه موافقاً : فعلًا .....عندك حق بنيامين .

بنيامين : تانى حاجة .... لازم تتعلم الإرسال .

كـان بنيـامين يعلم أنـه بقولـه هذا قد ألقى بكرة لهب فى وجـه هـانز . والذى ما إن سمع جملة بنيامين الأخيرة حتى احمر وجهه غضباً وقام من مقعده قائلاً بحدة : بنيامين إحنا كان اتفاقنا من الأول على إنى أستقبل منكم الرسايل اللاسلكية وبس ..... مش أبعت لكم كمان ..... إنت عارف إن ده فيه خطر كبيرعليا .... أنا فى الأســـاس خبير مفرقعات وإنتوا اخترتونى للمهمة اللى بأديها فى مصر علشان كده .

حاول بنيامين أن يهدئ من ثورة هانز ويزيل مخاوفه فقال بهدوء: اقعد هانز وبلاش العصبية بتاعتك دى .....

جلس هانز ثم قال باقتضاب : أدينى قعدت .

بنيامين : شوف هانز فى معلومات هنحتاجها فى الفترة اللى جاية لازم توصــلنا بمجرد حصــولك عليها..... ثم إحنا مقررناش نديك جهاز إرســـال إلا لما شـــفنا إنك فى أمان تام ..... هانز إحنا عمرنا ما هنضـــحى بيك ولا نعرضـــك للخطر لإنك مهم جداً بالنسبة لنا ..... وعلى فكرة الجهاز اللى هتدرب عليه وتستعمله لما ترجع مصر متطور جداً وصعب يتكشف .

هانز بإســـتهزاء : غريبـة بنيـامين ..... هو العلم بيطورعنـدكم فى إســرائيل ومبيطورش فى مصــر ..... يعنى المصــريين مش ممكن يكون عندهم أجهزة تلقط الإشارات اللى هبعتهالكم ويحلوا شفرتها .

بنيامين بثقة : المصــريين قدمهم ســنين عقبال ما يوصــلوا للى إحنا وصلناله دلوقت ..... جهاز المخابرات المصرى حديث النشئة ، مبقالوش غير تسـع سـنين بس ..... الموسـاد أقدم منه بكتير ..... وبشـــهادة الدول الكبيرة فالموســـاد يعتبرمن أقوى أجهزة المخابرات فى العالم .

هانز : واللى حصل فى زيورخ ؟

بنيامين بضجر : تانى هتقول لى اللى حصل فى زيورخ....اللى حصل فى زيورخ غلطة ومش هتكرر ..... طيب وإنت فى مصـــر بقالك سنة ونص عمرك سمعت إن المخابرات المصرية قدرت توقع عميل لنا ..... برغم إن إحنا لنا عملاء كتير فى مصر .

هانز : الظاهر إنك نسيت اللى حصل سنة ٥٤ .

بنيامين : قصدك عملية سوزانا .

هانز : أيوة ..... اللى الموساد فجر فيها مكاتب الإستعلامات الأمريكية ، ولما قبضـــوا على عميلكم اللى حاول يفجر ســـينما ريو فى اسكندرية أرشد عن كل زملائه .

بنيامين : هانز العملية دى فات عليه عشـــر ســـنين وبســـببها اســـتقال بنحاس لافون ..... والعملية دى إحنا اتعلمنا منها كتير .... أنا بكلمك على الوقت الحاضـــر وإنت فى مصـــر ســـمعت إن المخابرات المصرية قبضت على عميل لنا ؟

تردد هانز للحظات قبل أن يجيب : بصراحة مسمعتش ..... بس ممكن يكونوا قبضـــوا على عملاء ليكم ، لكن مـا بيعلنوش ده ..... وإنتوا بالتالى مش ممكن هتقولوا لى حاجة زى دى لو حصلت.

أشـاح بنيامين بيده مسـتنكراً : لا لا هانز إنت بقيت بتخاف زيادة عن اللزوم ..... فتح بنيـامين حقيبـة بجواره وأخـذ منهـا ٣ ميكروفونات صـــغيرة الحجم ناولها لهانز **قائلا :** شـــوف هانز دول ٣ ميكروفونـات هتزرعهم فى أمـاكن معينـة فى الفيلا الجديدة .

التقط هانز الميكروفونات من يد بنيامين وقلبهم فى يديه متفحصـــاً ثم عقب بدهشـــة : دى حجمها صـــغيرأوى ..... تقريباً قد زرار جاكت البدلة .

بنيامين : لعلمك ده أحدث ما توصـلت إليه تكنولوجيا الاتصـالات فى الولايـات المتحـدة ..... يعنى إحنـا وأمريكـا واقفين على خط واحد ، اللى بيستعملوه هما إحنا كمان بنستعمله عندنا زيه تمام ..... يا ترى لسه قلقان هانز .

هانز : شوية .

بنيامين : لما تتدرب على الإرسال وتلقيه سهل هيزول خوفك ده .

هانز باستسلام : وجهاز الإرسال ده هدرب عليه هنا ؟

تنفس بنيامين الصعداء فسؤال هانز يعنى اقتناعه بضرورة تعلم الإرسال فأجابه **قائلاً :** لا موش هنا..... ثم نظر فى ساعته قائلاً : بعد ساعة من دلوقت هتنزل وتروح شقة خارج باريس ..... فى الريف الفرنسى ..... الشقة دى هتلاقى فيها خبير الاتصالات جاكوب رينييه ، ده هو اللي هيدربك على جهاز الإرسال الجديد والشفرة اللى هتستعملها .

هانز : وجهاز الإرسال إزاى هقدرأنزل بيه مصر ؟

بنيامين : جهاز الإرسال مش هتنزل بيه مصر ، لكن هتستلمه وإنت فى مصر .... قبل ما تسافر هقول لك مكان وميعاد التسليم ، وكلمة السر اللى هتقولها للشخص اللى هيسلمك الجهاز ..... .

هانز : تمام ..... تمام بنيامين ..... طب وبالنسبة لعصام المخرج اللى ظهر فى المجموعة جديد ..... فى خوف منه .

بنيامين : فشغلنتنا دى يا حبيبى الواحد يشك فأبوه ..... أنت إتعامل معاه بحذر لحد ما نعمل تحرياتنا عنه ونبلغك بالنتيجة ..... يا إما ميكونش له علاقة بالمخابرات المصرية ..... يا إما يكون تعلب من تعالب المخابرات ..... .

وضم قبضته أمام وجهه متوعداً : وفي الحالة دي هندي المصريين درس مش ممكن هينسوه

(١٧)

عادت نورا إلى القاهرة قادمة من الإســـكندرية بعدما انتهت من تصــوير فيلمها التســجيلى عن الحضــارة المصــرية، وفى اليوم التالى لوصولها التقت بعصام بأحد الكازينوهات المطلة على النيل.

عصام : ازيك يا نورا ..... حمد لله على السلامة .

نورا : الله يسلمك ..

عصام : خلصتى تصويرالفيلم .

نورا : أيوة .

يشير عصام للجرسون ...

عصام : تشربى إيه ؟

نورا : عصير ليمون .

عصام : اتنين عصير ليمون .

الجرسون : تحت أمرك .

عصام : وهترجعى ألمانيا إمتى ؟

نورا : هاخد طيارة الخميس الصبح .

عصام : بالسرعة دى ..... يعنى على كده هتسافري بعد ٣ أيام ..... الشهرين عدوا بسرعة أوى .

بدا وجه نورا شاحباً وعينيها زائغتان وهى ترد بفتور : فعلاً .

عصـــام : مالك يا نورا ؟ أنا ملاحظ إنك إنتى مش طبيعية ..... إنتى فيه حاجة مديقاكى .

أخرجت نورا من حقيبتها علبة ســـجائر ، تناولت منها ســـيجارة ووضــعتها بين شــفتيها وأشــعلتها بأصــابع مرتعشــة قائلة وهى تنفث دخانها بعصبية : فعلًا .... فعلًا يا عصام ..... فى حاجة مهمة عايزة أحكيها لك .

عصام مشجعاً إياها : طب وساكتة ليه ماتتكلمى .

نورا : بابا يا عصام ..... خايفة عليه أوي .

عصام : خايفة عليه ..... من إيه ؟

نورا : أنا كنت مع بابا امبارح.... وحكى لى عن تهديد إسرائيل ليهم .

عصام : حكى لك عن تهديد إسرائيل ليهم .....اللى هما مين ؟

نورا : هو وزمايله الألمان اللى بيشتغلوا فى المشروع المصرى .

عصام : أيوة ..... أيوة وبعدين .

نورا : قال لى أنهم بعتوا له جوابات تهديد هو وزمايله ،علشان يمشوا من مصر ومايشتركوش فى المشروع المصرى لتطوير الأسلحة ..... فهو وزمايله رفضوا تهديد إسرائيل لهم وأصروا على التعاون مع مصر..... فإسرائيل اعتبرتهم نازيين وإنهم بيحاولوا يحيوا الهولوكست من جديد ..... وإنهم هيكونوا السبب فى زوال دولة إسرائيل ..... لأن عبد الناصر هيحاول يستخدم الأسلحة دى ضدهم ..... وفعلا إسرائيل نفذت تهديدها عن طريق عملاءها واغتالوا اتنين من العلماء الألمان عن طريق الطرود الملغومة ..... .

عصام بانفعال : ده مش جديد على دولة قامت على الإرهاب وارتكاب المذابح ..... وبعدين .

نورا : ولما سألت بابا طب ليه محكيتليش ده لما جيت من ألمانيا ..... قال لى كنت خايف أحسن نفسيتك تتعب ومتعرفيش تصورى الفيلم اللى إنتى جايه علشانه .... .

ثم سحقت ما بقى من سيجارتها فى المنفضة التى أمامها على المنضدة ، وصمتت قليلا ثم نظرت إليه كأنها تستعطفه وأردفت قائلة : علشان كده عايزة أطلب منك طلب يا عصام .

أمسك عصام كفيها برفق ووضعهما بين راحتيه **قائلاً**: أؤمرى يا نورا.

نورا باستعطاف وقد اغرورقت عيناها : بابا ....عايزاك تخلى بالك من بابا ..... أنا معرفش حد فى مصر غيرك ..... ومقدرش أثق فى حد هنا غيرك .

ربت عصام على كفها بحنان **قائلاً** : اطمنى يا نورا بابا فى عينيا .

قالت بعد أن سحبت كفيها برفق من يد عصام ، لتمسح بأناملها عبرات انسالت على خديها : المشكلة إنى لازم أسافر ألمانيا علشان أحمض الفيلم وأعمله مونتاج ..... لأنى ناوية أدخل بالفيلم ده مسابقة الأفلام التسجيلية بعد ٣ شهور .... لولا كده كنت قعدت مع بابا ..... خاصة أنه ملوش حد دلوقت غيرى وأنا مليش غيره من ساعة ماما ما ماتت.

عصام بثقة : بس كده ..... ولا تشيلى هم ..... أنا عايزك تطمني على بابا ..... من النهاردة عايزك تعتبرى أمن بابا وسلامته مسئوليتى ..... لأنه من النهاردة هيكون فى منزلة والدى وهتلاقينى دايماً بكتب لك وأطمنك عليه ..... .

تهلل وجهها **فقالت ممتنة** : حبيبى يا عصـام ..... حقيقى مش عارفة أشكرك إزاى ..... إنت شلت عنى هم كبير .

يشـــير إليها عصـــام بســـبابته : المهم دلوقت إنك لازم تفوزى فى المسابقة دى بالجايزة الأولى .

نورا : يا رب يا عصام .

عصام : وإنتى دلوقت نازلة فى شبرد ؟

نورا : لا .... أنا قلت أقعد اليومين اللى فاضلين لى فى مصر مع بابا.

عصام : أحسن برضه ..... وطيارتك هتقوم الساعة كام ؟

نورا : يوم الخميس الساعة عشرة ونص الصبح .

عصـام : يبقى يوم الخميس الســاعة ٨ هتلاقيني مســتنيكى قدام البيت علشان أوصلك المطار .

نورا : مفيش داعى يا عصام .

عصام بإصرار : أنا قلت هوصلك يعنى هوصلك ..... بس قولى لى عنوان بيت بابا .

نورا : عارف الشارع اللى فيه فيلا البروفسير جيرهارد فى المعادى .

عصام : أيوة طبعا ..... .

نورا : نفس الشارع عمارة ١٤ الدور التالت .

عصام : تمام .

(١٨)

أتم هانز دورة التدرب على الإرسال على يد ضابط الاتصالات الإسرئيلى جاكوب رينيه ، ثم أستقل الطائرة عائداً إلى القاهرة.

دخل هانز غرفة نومه فوجد مادلين مستغرقة فى النوم ، فجلس بجوارها على الفراش ومسح على شعرها برفق قائلاً : مادى إنتى نايمة ؟

فتحت مادلين عينيها بصعوبة فقالت بصوت ناعس وهى تفرك عينيها: هانز إنت وصلت .....أصل أنا منمتش غير الساعة أربعة الصبح .

هانز : أنا جبت لك معايا شوية برفانات وطقم مكياج هيعجبوكى أوي.

أزاحث مادلين الغطاء الذى كانت تتدثر به واعتدلت جالسة وقالت بضجر : طقم مكياج وبرفانات بس .

هانز : لا ..... وحطيت ١٠ آلاف دولار فى حسابك ..... ثم يخرج من جيبه ايصال يناوله إياها قائلاً : وآدى الإيصال .

تلقفت مادلين الإيصال من يده وقالت بعد أن تفحصته : تمام.... تمام هانز .

ثم فتحت علبة السجائرالتى بجوارها وتناولت منها سيجارة وضعتها بين شفتيها وأشعلتها بقداحتها ، وقالت وهى تنفث دخانها فى الهواء : وعملت إيه عند الدكتور..... فى جديد ؟

هانز : كتب لى علاج جديد وقال لى أمشى عليه ٣ شهور ، وأكد لى إن العلاج المرة دى هيجيب نتيجة أفضل .....

ثم اندفع نحوها محاولا ضمها بين ذراعيه قائلاً : مادى إنتى وحشتينى أوى ..... .

فدفعته بنفور قائلة : هانز ..... مينفعش دلوقت ..... .

ثم عقبت بسخرية : مش لما تجرب العلاج الجديد الأول ..... أحسن ميجبش نتيجة ويطلع زى اللى قبله ..... .

أطرق هانز رأسه خجلاً وساد الصمت فى الغرفة للحظات ، قطعت مادلين هذا الصمت حينما أدارت دفة الحديث قائلة : يا ترى فى تعليمات جديدة ؟

هانز بضيق : أيوة فيه .... فى تعليمات جديدة .

مادلين : وطالبين منك إيه المرة دي ؟

هانز : طالبين أأجر فيلا فى الهرم علشان نبقى نعمل فيها الحفلات .

مادلين : وطب والشقة دي ؟

هانز : هتفضل زى ما هيا .... بس الفيلا هتخلينا نعزم عدد كبيرمن الأفراد... هيكونوا تحت المراقبة طول ما هما معانا فى الفيلا.

مادلين : إزاى يعني ؟

يفتح هانز حقيبته ويخرج منها ميكروفون صغير يضعه أمام عين مادلين **قائلاً :** عارفة إيه ده ؟

تناولته مادلين منه وقلبته فى كفها **ثم قالت فى حيرة** : لا

تناوله هانز منها قائلاً : ده أحدث ما توصلت إليه التكنولوجيا الأمريكية فى مجال التجسس ..... ميكروفون صغير فى حجم زرار جاكت البدلة ..... ده ينحط تحت أى ترابيزة أو جوه الأباجورة وينقل كل اللى بيتقال من أحاديث ..... من غير ما حد يحس بحاجة ..... بحيث أكون أنا بتكلم مع أى حد فى أي مكان فى الفيلا و الميكروفون ده يكون بيسجل كل الأحاديث الجانبية اللى بتتقال .

مادلين : كويس أوي ..... ومش طالبين منك حاجة تاني ؟

هانز : هيسلمونى جهاز إرسال .....لأنهم قالوا لى الفترة اللى جاية هيحتاجوا معلومات مهمة ولازم تتبعت بمجرد الحصول عليها فى أسرع وقت .

مادلين : بس إنت قولت لهم قبل كده إنك هتستقبل رسايلهم بس .... لإن الإرسال فيه خطر عليك .

هانز : الجهاز اللى هستعمله حديث جداً وصعب يتكشف والشفرة هتتغير باستمرار..... عملنا ده لازم يكون فيه شيء من المخاطرة ولا إيه يا عزيزتى .

أومأت مادلين برأسها : مظبوط ..... مظبوط هانز .

هانز : مفيش حاجة حصلت فى غيابى ؟

مادلين : لا مفيش .... .

هانز : إنتى كنت سهرانة بره امبارح ؟

مادلين : امبارح بس، كل يوم ... ما إنت عارفنى مبحبش قعدة البيت.

هانز : ما قولتلك تعالي معايا باريس غيري جو .

مادلين : أنا رحت باريس كتير ..... المرة الجاية أبقى آجى معاك .

ثم ينظر إليها بخبث قائلاً : إنتى قابلتى عصام ؟

مادلين بتردد : عصام ..... أيوة سهرنا مع بعض يوم الاتنين .

هانز : فين ؟.... هنا .

مادلين : لا هانز ..... سهرنا فى كازينو فى الهرم .

هانز : وبعد كده .... وصلك هنا .

فهمت مادلين ما يرنو إليه هانز بكلماته فأجابته بعصبية : أيوة ..... وصلنى لحد باب العمارة ومرضيش يطلع ..... هانز إنت بتغيرعليا .

هانز : طبعًا يا حبيبتى..... بغير عليكى.... وفى حاجة كمان .

مادلين باقتضاب : حاجة إيه ؟

هانز : الجماعة شاكين إن عصام ممكن يكون شغال مع المخابرات المصرية .

نزلت جملة هانز الأخيرة على مادلين كالصاعقة فأحست بدوار فى رأسها ، فضربت براحتها على رأسها وقالت وهى تحاول إستعادة توازنها : عصام ..... مش معقول ..... مش معقول هانز .....عصام من ساعة ما عرفناه معملش أى تصرف يثير الشك ..... حتى كلامه معايا كلام عام عادى .

هانز : على العموم أنا لما كلمت بنيامين عنه قال لى خد حذرك منه لحد ما يعملوا تحرياتهم عنه ..... .

مادلين : وطب وإيه اللى يخلى المخابرات المصرية تزرع عميل لها وسط الألمان ؟

هانز : بالتأكيد علشان يوصلوا للى بيبعت الطرود الناسفة للألمان ..... على العموم لازم ناخد حذرنا ..... وإنتى عارفة شغلنا مادلين مفهوش مجال للخطأ لأن الغلطة فيها بإعدام، قال جملته الأخيرة وهو يمرر يده على رقبته .

كانت جملة هانز كفيلة بأن تجعل مادلين تضع يدها هى الأخرى على رقبتها بشكل عفوي قائلة : فعلا هانز .... عندك حق .

(١٩)

قام رجال المخابرات بوضع هانز تحت مراقبة دقيقة ، أما مادلين فقد التقت بعصام كما اتفقا منذ آخر لقاء تم بينهما قبل مجئ هانز ، ففى بداية اللقاء كانت مادلين تضع نصب عينيها كلام هانز ، خوفاً من أن يكون عصام يعمل لصالح جهاز المخابرات المصرية، ولكن مع نهاية لقاءها به أدركت أن مخاوفها لا أساس لها ، فهو لم يسأل ما يثير ريبتها و لم يحاول معرفة ما يثير شكوكها ، فأقنعت نفسها - أو هكذا كانت تريد - أن هانز ربما قال ما قال ليبعدها عن عصام.

وفى المساء ذهب عصام للقاء محمود عزت.

محمود : يعنى مادلين قالت لك إنهم خدوا فيلا جديدة فى الهرم .

عصام : أيوه يا محمود بيه .

محمود : على فكرة يا عصام الموساد بدأوا يعملوا تحريات عنك وده محصلش إلا من بعد ما رجع هانز من سفريته الأخيرة .

انتفض عصام قائلاً : يا خبر أسود .... معنى كده إن أنا أنكشفت .

حاول محمود تهدئه عصام قائلاً : متخفش .... انت متكشفتش ولا حاجة ..... هما بس بيشكوا فيك أحسن تكون شغال مع المخابرات المصرية وده أمر طبيعي .

عصام : طب وبعدين يا محمود بيه .

محمود : متقلقش من حاجة ..... احنا مغطيينك كويس وكنا عاملين حساب إن ده ممكن يحصل ..... .

عصام : طب ودلوقت هعمل إيه ؟

محمود : ولا حاجة كل شئ هيمشى طبيعى ..... يعنى هتعمل شغلك كالمعتاد .

عصام : يعنى أحضر أى حفلة عادي ؟

محمود : بالظبط ..... وبرضـــه تاخد حذرك يعنى متحاولش تفتح مواضيع تثير الشك سواء مع هانز أو مع أى حد من الألمان ..... يعنى كلامك يكون عادي ولازم نحط احتمال أن هانز ممكن يكون له شركاء بيساعدوه ..... ومتستبعدش إن مادلين تكون شريكته ..... .

عصام بدهشة : معقول يا محمود بيه .

محمود : لازم نحط فى حســابتنا كل الاحتمالات يا عصـــام ..... فى عالم المخابرات كل شئ ممكن حدوثه ..... مفهوم يا عصام .

أومأ عصام برأسه قائلاً : مفهوم ..... مفهوم يا محمود بيه .

(٢٠)

فى مبنى المخابرات العامة :

محمود : صباح الخير يا فاضل بيه .

فاضـــل : صـــباح الخير يا محمود ..... اتفضـــل إقعد ..... يا ترى فى جديد ؟

محمود : والله يا فندم اللى حصل من بعد رجوع هانز من فرنسا بيأكد لنا أنه هو الشخص المطلوب .... وإنه هو اللى وراء عمليات الطرود الناسفة .

فاضل : تقصد يعنى علشان أنه أجر فيلا جديدة بمجرد رجوعه من فرنسا..... .

محمود : مش كده بس يا فندم ..... رجال الموساد اللى ابتدوا يراقبوا عصام ويعملوا تحريات عنه من ساعة ما رجع هانز .

فاضل : ويا ترى عصام عرف إنهم بيراقبوه ؟

محمود : أنا عرفته فى آخر مقابلة، إن الموساد بيجمعوا تحريات عنه.

فاضل : مش شايف إنك استعجلت لما قولت له كده.... وكان الأفضل إنه ميعرفش حاجة علشان ده ميأثرش على شغله ، وفى نفس الوقت ذهنه ميبقاش مشتت .

محمود : عصـــام عقلية ممتازة يا فندم ، وقدر يســـتوعب اللى بيدور حواليه كويس .

فاضل : أنت شايف كده ..... .

محمود : بكل تأكيد يا فندم .

فاضل : طبعا أنت كنت عامل حسابك ومغطيه كويس .

محمود : طبعا يا فندم .

فاضل : وإيه اللى تتوقع يعملوه بعد كده ؟

محمود : أتوقع يا فندم إنهم بعد ما ينهوا تحرياتهم عن عصام ويتأكدوا أنه ملوش صلة بينا ..... هيبعتوا النتيجة دى لهانز علشان يستأنف نشاطه تانى لأن أكيد خلال فترة البحث كان هانز موقف نشاطه .... .

فاضل : أنا معاك فى استنتاجك كده ..... وده بيخلينى أتوقع إنه هيقوم بعملية جديدة خلال الأيام اللى جاية .

محمود : ربنا يستر يا فندم .

فاضل : المهم تكون دايمًا جاهز إنت ورجالتك ..... لإنه لازم هيغلط الغلطة اللى إحنا مستنينها ..... الغلطة اللى هتخلينا نقبض عليه ونقفل الملف ده .

محمود : الله المستعان يا فندم .

(٢١)

قام هانز بتأجير فيلا بمنطقة الهرم ، وأخذ يعد العدة هو وزوجته لإقامة أول حفل لاستقبال أصدقائهم الألمان فى سكنهم الجديد.

مادلين : كلمت جروبى علشان حفلة رأس السنة .

هانز : أيوه اتفقت معاهم ..... هيبعتوا الحاجات اللى إحنا طالبينها يوم ٣١ الساعة أربعة ، ومعاهم اتنين جرسونات علشان يخدموا على المدعوين .

مادلين : كويس كده ..... يا ترى اخترت الأماكن اللى هتحط فيها الميكروفونات ؟

هانز : أيوه هما ٣ ميكوفونات واحد هنحطه تحت الترابيزة دى والتانى تحت الترابيزة اللى هناك دى ..... والتالت جوه الأباجورة الطويلة ..... إيه رأيك ؟

مادلين : مكانهم كويس فعلا ..... بس مش المفروض نجربهم الأول ؟

هانز : فعلا لازم نجربهم ..... ثم أردف قائلاً بعد أن نظر فى ساعة يده : بس فاضل ربع ساعة على استلام الرسالة ..... نستلم الرسالة الأول وبعد كده نجرب الميكروفونات .

دخل الاثنان حجرة المكتب ، وقام هانز بإخرج جهاز الاســتقبال وبدأ الاستعداد لتلقى الرسالة، وفى الميعاد المحدد استلم هانز الرسالة ثم قال بعد أن أغلق جهاز الاستقبال : دول رسالتين مش رسالة واحدة ..... ثم قلب صــفحات كتيب بين يديه قائلاً : لما أفك الشــفرة بتاعتهم ..... ثم عقب قائلاً بعد حل الشــفرة : الرســالة الأولى بتقول إبعت لصاحبك الهدية ليلة عيد الميلاد ..... والتانية بتقول العينة اللى بعتها من نوع جيد ومفيش خوف منها .

مادلين بفضول : وإيه معنى الرسالتين ؟

هانز : شــوفى يا عزيزتى ..... الرســالة الأولى بيطلبوا منى تنفيذ العملية يوم ٢٥ ديسمبر .

مادلين بقلق : طب والتانية ؟

هانز : الرسالة التانية بيطمنونى أنهم عملوا تحريات عن عصام وطلع مبيشتغلش مع المخابرات المصرية .

تنفست مادلين الصعداء وشعرت بالارتياح فقالت بهدوء : الحمد لله ..... معندكش فكرة أنا كنت قلقانة قد إيه أحسن يكون عصام شــغال مع المخابرات المصــرية ..... يعنى كده نقدر نعزمه على الحفلة .

حدجها هانز بنظرة ثاقبة قائلاً : ما بلاش المرة دي .

مادلين بحدة : بلاش ليه ؟..... مش صحابك بعتوا لك إنه مش شغال مع المخابرات .

هانز : أيوة .... بس .

مادلين : بس إيه .....

هانز : مادى أنا شـايف إنك مهتمية بعصـام أكتر من اللازم ..... أنا هسألك سؤال وتجاوبيني بصراحة ؟

مادلين بضجر : اتفضل إسال .

هانز : إنتى بتحبي عصام ؟

لم تتوقع مادلين أن يسألها هانز هذا السؤال ، فارتبكت قليلاً لكنها استجمعت رباطة جأشها وقالت بثقة : شوف هانز ....عصام صديق برتاح لما بتكلم معاه .... لأنه انسـان دوغرى وعلى طبيعته مش زينا ..... وفى نفس الوقت جنتل مان بيعرف يتعامل مع الست كويس .

أحس هانز كأن عقرب لدغه عندما سمع جملة مادلين فسألها قائلاً : ممكن أفهم إيـه معنى جملتـك الأخيرة ، إنـه بيعرف يتعـامـل مع الست كويس .

مادلين بعصـبية : معناها واضـح.... إنه صـديق.... صـديق... فهمت هانز .

هانز باستسلام : خلاص ..... خلاص مادلين ..... إتصلى وإعزميه على الحفلة .

(٢٢)

دق ساعى البريد جرس باب فيلا البروفسير الألمانى أدولف كول، ففتحت له سيدة شقراء الباب فسلمها مظروف كبير وانصرف ، وما أن دخلت السيدة حجرة المكتب وقامت بفتح المظروف حتى انفجر المظروف محدثًا دوياً ، تبعثرعلى أثره أثاث المكتب وسقطت السيدة على الأرض وقد غطت الدماء وجهها، وخلال دقائق سُمعت أبواق سيارت الشرطة وجرس عربات المطافئ وعربات الاسعاف .

وفى مبنى المخابرات كان فاضل الكيلانى يتحدث هاتفياً بانزعاج :
محمود عزت فين ؟ مش موجود .... لما يوصل يجى لي حالًا .

كان محمود عزت فى ذلك الوقت بموقع الحادث يتابع مع رجال الشرطة تفاصيل ما حادث ، وعندما عاد إلى مبنى المخابرات إتجه مباشرة إلى مكتب فاضل الكيلانى .

محمود : صباح الخيريا سيد فاضل

فاضل بغضب : صباح الخير يا محمود ..... إيه اللى حصل النهاردة ده ؟

محمود بأسى : مع الأسف يا فندم هانز نفذ العملية اللى كنا متوقيعنها النهاردة الصبح ..... وأنا لسه جاى دلوقت من فيلا البروفسير أدولف كول .

فاضل وقد احتقن وجهه غضباً : وإيه هى الخسائر ؟

محمود : سكرتيرة البروفسير اللى فتحت الطرد إصابتها خطيرة .

دق فاضـل بقبضـته سـطح المكتب فى غضـب قائلاً : إنت مش كنت بتقول لى كل شئ تحت السيطرة .

محمود بارتباك : فعلًا يا فندم .... بس العملية اتنفذت بشكل جديد .

فاضل : إزاى يعنى ؟

محمود : الطرد المرة دى مكنش عبارة عن قنبلة صـغيرة موضـوعة داخل صـــندوق هدايا تنفجر بمجرد فتحها ..... لكن كان عبارة عن كتالوج صور .

فاضل بدهشة : كتالوج صور!

محمود : أيوه يا فندم كتالوج صـــور ..... حســـب المعاينة المبدئية لمكان الحادث ولحد ما يطلع التقرير النهائي للمعمل الجنائي ، فالأرجح أن المادة المتفجرة اللى حجمها صغيرجداً ، كانت موضوعة بدقة فى الغلاف الخارجى للكتالوج ..... وحسب شهادة خادمة الفيلا إن السكرتيرة لما استلمت الطرد اللى هو عبـارة عن كتـالوج صـــور وفتحت الكتـالوج وبدأت تقلب صـــفحاته انفجر .... ارتســمت على وجه محمود إبتســامة هادئة أثارت دهشـة فاضـل فعقب محمود **قائلاً** : لكن الحادثة دى خلت هانز يغلط الغلطة اللى كنا مستنينها .

فاضل متشوقاً : إزاي ؟

محمود : رُب ضارة نافعة يا فندم ..... قبل ما أدخل لسيادتك رجالتنا لقطوا إشارة لاسلكية مبعوتة من فيلا هانز فى الهرم .

كسا السرور وجه فاضل فقال بلهفة : ويا ترى حليتوا الشفرة ؟

محمود : أنا قلت لهم يحلوها ويجيبوها ليا عند سيادتك .

يقطع حديثهما صـــوت طرقات خفيفة بباب الغرفة ، ثم يدخل أحد الرجال بيده ورقة يستأذن السيد فاضل فى تسليمها لمحمود : اتفضل يا محمود بيه .

محمود : شكرًا ..... اتفضل إنت .

يقرأ محمود ما فى الورقة بصوت عال : الهدية وصلت صاحبها .

قال فاضـــل وقد تهلل وجهه : هايل يا محمود ..... كده اتأكدنا بما لا يدع مجال للشـــك أن هانز هو اللى وراء كل اللى بيحصـــل ده ..... وأن سفريته الأخيرة لفرنسا كانت علشان يدرب على جهازالإرسال اللى بالتأكيد إستلمه هنا فى مصر..... وإنه لما بدأ يبعت رسايل بعد ما كان بيستلم منهم بس .... ده كان فى صالحنا .

محمود : الحمد لله يا فندم .

فاضل : وخطوتك الجاية إيه ؟

محمود : هانز هيعمل حفلة رأس الســـنة عنده فى الفيلا وطلب من جروبى اتنين جرسونات ..... .

فاضل : هتبعت اتنين من رجالتك طبعًا .

محمود : بالظبط كده يا فندم ..... وأنا هنتهز فرصة إن هانز ومادلين هيتعشـوا بره النهاردة وهخش الفيلا وأفتشـها وهأحاول أزرع ميكروفونين واحد فى أوضة المكتب وواحد فى أوضة النوم .

فاضل بدهشة : وعرفت منين إنهم هيتعشوا بره ؟

محمود : أنا اتصـلت بعصـام وطلبت منه يعزمهم على العشـاء ، بحجة أنه عايز يشـترى حصـان عربى أصـيل علشـان يهديه لخاله .... فهانز وافق .

فاضــل : كويس أوي .... ربنا يوفقك يا محمود إنت ورجالتك علشــان ننتهي من الكابوس ده .

محمود : بإذن الله يا فندم .... أستأذن أنا .

فاضل : اتفضل .

(٢٣)

وفى ليلة عيد الميلاد قام هانز ومادلين باســـتقبال المدعوين فى مسكنهم الجديد ، وكانت المائدة الكبيرة تزخر بما لذ وطاب من صنوف الطعام والشراب ، وقام بعض المدعوين بالرقص على أنغام الموسيقى، وعندما قاربت الســاعة على الثانية عشـر أخذ الجميع ينظرون للســاعة ورددوا فى صــوت عال : خمســة ..... أربعة ..... تلاتة ..... اتنين ..... واحد ..... هيه

ثم أُطفاءت الأنوار لثوان وحين عادت هنأ الجميع بعضـــهم بعضـــاً بالعام الجديد.

هانز : كل سنة وأنتوا طيبين ..... .

مادلين : سنة سعيدة عليكم ..... .

المدعون : كل سنة وإنت طيب ..... كل سنة وإنتى طيبة ..... سنة سعيدة عليكى ..... .

أمســكت مادلين باســطوانة ووضــعتها فى البيك أب قائلة : كان كان ..... مين تحب ترقص كان كان فى الســـنة الجديدة ..... وعندما لم يُجبها أحد قالت : مفيش حد ..... يبقى هرقص لوحدى .

صفق الحاضرون وتعالت أصواتهم : مادى ..... مادى .

أخذت مادلين ترقص رقصة الكان كان ببراعة أزهلت الحاضرين فقال بعضــهم : مادى بترقص هايل ..... الرقصــة دى مثيرة جداً، وعندما انتهت صــفق الحاضــرون بحرارة وتعالت أصــوتهم **:** برافو مادلين ..... برافو مادى .

صفق عصام وهو يتجه ناحية مادلين قائلاً : إنتى بترقصى هايل .

مادلين وهى تلهث : عجبتك .

عصام : عجبتينى .... إنتى عجبتي الموجودين كلهم .

ثم تدار أسطوانة لموسيقى الفالس .

يميل سميث ناحيه جيرهارد وهو يمسك كأسه قائلاً : الرقص ده عايز الشباب مش العواجيز اللى زينا ..... ولا إيه يا عزيزى جيرهارد .

جيرهارد وهو ينفث دخان غليونه فى الهواء : اتكلم عن نفســـك أنا لسه شباب ..... خمسة وخمسين سنة ميبقاش عجوز ..... ولا إيه يا زوجتى العزيزة .

تضحك هيلجا قائلة : كده طب يالا بينا نرقص يا ملك الشباب .

جيرهارد بارتباك : هو الواحد مينفعش يبقى شـــباب اللى لما يرقص ..... طب ما أنا بلعب رياضة ..... .

يغمزه سميث وهو يضحك قائلاً : بتلعب جولف ..... برضه إسمها رياضة العواجيز..... ولا إيه يا هيلجا .

هليجا : كفاية كده سميث ، أحسن تقلب بخناقة مع صحبك لما نروح .

يتبادل الثلاثة الضحك ...

وعندما قاربت الساعة الثالثة صباحاً بدأ انصراف المدعوين تباعاً

مادلين : إنتوا شرفتونا ..... سنة سعيدة عليكم .

هليجا: كانت سهرة جميلة مادلين ..... كل سنة وأنتوا طيبين .

جيرهارد : مع السلامة هانز ..... مع السلامة مادلين .

هانز ومادلين : مع السلامة .

مادلين : الخدم مشيوا .

هانز : أيوه .... إديتهم حسابهم ومشيوا .

صعد هانز ومادلين درجات السلم للوصول لغرفة النوم وهما يكملان حديثهم **فقالت مادلين :** بس كانت سهرة جميلة .

هانز : بس تكاليفها كتيرأوى يا عزيزتى ..... إنتى عارفة الحفلة دى أتكلفت كام .

مادلين : مش مهم ..... هو إنت بتدفع حاجة من جيبك ..... مش إنت بتدى الجماعة الفاتورة وهما اللى بيحاسبوا عليها .

هانز : على رأيك ..... .

دخل الاثنان غرفة نومهما فجلست مادلين أمام المرآة تنزع قرطها من أُذنيها والعقد الذى يزين صدرها ، وحينما بدأ هانز بنزع حُلته **بادرته قائلة :** مش هتنزل أوضة المكتب تسمع التسجيلات الأول .

تثاءب هانز هو يعلق حُلته بمشجب داخل الدولاب فقال وقد بدا النعاس على صوته : مش قادر يا حبيبتى ..... تعبان وعايز أنام ، الظاهر لأنى كترت فى الشرب الليلة دى ..... لما أصحى أبقا أسمعهم براحتى .....على الله يكون فيها حاجة تستاهل ..... ثم ذهب للفراش واستطرد قائلاً : تصبحى على خير .

مادلين : وإنت من أهله .

(٢٤)

وفى صباح اليوم الأول من السنة الجديدة ، التقى محمود عزت بالسيد فاضل لاطلاعه على آخر المستجدات .

محمود : صباح الخير يافندم .

فاضل : صباح الخير يا محمود ..... كل سنة وانت طيب .

محمود : وانت طيب يا فندم .

فاضل : باين عليك منمتش .

محمود : فعلًا يا فندم ..... لإنى كان لازم أتاكد من إن الرجالة اللى بعتهم الفيلا عملوا الشغل المطلوب ..... .

فاضل : ها ... ونفذوا المطلوب منهم فعلًا .

محمود : أيوة يا فندم ..... بس المفاجأة إنى لما سـمعت الحديث اللى دار بين هانز ومادلين بعد الحفلة ..... اكتشـفت إن هانز كان زارع ميكروفونات فى الفيلا علشـان يسـمع الأحاديث اللى بتدور بين الألمان.

فاضـل : بس دى مش مفاجأة ولا حاجة ، لإنك كنت متوقع إنه أكيد هيعمل كده لما رجع من فرنسا وأجرالفيلا .

محمود : ده صحيح ..... لكن فيه مفاجأة تانية يا فندم .....

فاضل : مفاجأة تانية !

محمود : مادلين طلعت شـــغالة مع هانز..... لأنها بعد ما خلصـــت الحفلـة وطلعوا أوضـــة النوم ، طلبـت منـه إنهم يســـمعوا التسـجيلات ..... لكنه قالها إنه تعبان وهيسـمعهم لما يصـحى من النوم .

فاضل : وإنت ناوي تعمل إيه ؟

محمود : أنا جاى اســـتأذن ســـيادتك إنى أنهى العملية النهاردة ..... لإن التســـجيلات اللى مع هانز دى دليل إدانة ضـــده ..... وأنا خايف يتخلص من التسجلات دى بعد ما يسمعها.

أومأ فاضل برأسه : وهو بالتأكيد هيعمل كده .

محمود : يبقى شـرايط التسـجيل اللى معاه ، بجانب تسـجلنا لحديثه مع مادلين ، ومعاهم جهاز الإرسال اللى هنحرزه لما نقبض عليه يبقى ما فاضلش حاجة يا فندم .

فاضـــل : وأنا من رأيك ..... جهز إنت المجموعة اللى هتكون معاك وأنا هأستصدر أمر من النيابة بالقبض عليه .

محمود: متشكر يا فندم .

يمد فاضل يده مصافحاً محمود : بالتوفيق يا محمود .

(٢٥)

استيقظ هانز ومادلين فى الواحدة ظهراً ، وبعد أن تناولا فطورهما ذهباً لحجرة المكتب للإستماع لما تحويه التسجيلات من أحاديث فقال هانز : لما نشوف الميكروفونات سجلت إيه ؟

أدار هانز جهاز التسجيل فانساب صوت جيرهارد : أنا وصلتنى معلومات مؤكدة بتقول إن الجيش المصرى هيبنى قاعدة صواريخ جنوب العريش .

سميث : يبقوا ناويين ينقلوا فيها الصواريخ الجديدة .

جيرهارد : أنا برضه بقول كده ..... .

واستكمل هانز ومادلين الاستماع لبقية التسجيلات

هانز : المعلومات دى مهمة جداً ولازم توصل تل أبيب فى أسرع وقت ..... فعلا بنيامين كان عنده حق .

مادلين : هتبعتها دلوقت .

هانز : طبعًا ..... بس لازم أشفر الرسالة الأول .

وفى تلك الأثناء دق جرس الباب

هانز بانزعاج : يا ترى مين ده ؟

مادلين : هروح أشوف مين ؟

هانز : استنى لما أقفل أوضه المكتب الأول .

وبعد أن أغلق هانز غرفة المكتب ذهب بصحبه مادلين لفتح الباب ، وما أن فتح الباب حتى وجد أمامه محمود عزت وخلفه أربعة من رجاله.

محمود : السيد هانز جوتنبرج .

هانز بارتباك : أيوه أنا هانز جوتنبرج ..... حضراتكم مين ؟

محمود : المخابرات العامة ..... ويزيح محمود هانز بيده ليدخل هو ورجاله قائلاً بحدة : بعد إذنك .

مادلين بذهول : مخابرات .... يا نهار أسود .

هانز متظاهراً بالتماسك : طب والمخابرات عايزة مني إيه ؟

محمود : دلوقت هتعرف كل حاجة ..... ممكن تتفضـــل معانا على أوضة المكتب .

هانز بصوت واهن : أوضة المكتب .

محمود بصرامة : أيوة أوضة المكتب يا سيد هانز ..... اتفضل .

سار هانز أمامهم بخطوات ثقيلة كأن ساقيه خلقت من حديد ، وقام بفتح باب حجرة المكتب.

نظر محمود لجهاز التسـجيل الموجود على سـطح المكتب فوضـع يده عليه **قائلاً :** ده جهاز تسجيل مش كده يا سيد هانز؟

أدار محمود جهاز التسـجيل فاسـتمع لما تحويه من أحاديث، وعندما انتهى وجه كلامه لهانز قائلاً : الحمد لله وصـلنا فى الوقت المناسـب قبل ماتشفر الرسالة وتبعتها إسرائيل ..... إيه رأيك ..... بيتهيألى إنت عرفت دلوقتي إحنا هنا ليه ..... طلع جهاز الإرســـال .... فتح هانز دولاب المكتبة وأخرج منه جهاز الإرســـال وناوله لمحمود الذى قام بوضعه على سطح المكتب.

جال محمود ببصره سريعاً فى أرجاء الغرفة ولفت انتباهه وجود علبة وسط الكتب فمد يده وتناولها **قائلًا** : وإيه العلبة الغريبة اللى بين الكتب دى .... .

هانز متلعثماً : دى ..... .

يفتحها محمود قائلاً بدهشـــة : صـــابون ..... غريبة حاطط علبة فيها صابون وسط الكتب ويناولها لأحد رجاله قائلاً : يا ريت تفحص العلبة دى يا ممدوح ..... آه نسيت أعرفك هر هانزالصـاغ ممدوح خبير فى المفرقعات .

تفحص ممدوح ما بداخل العلبة بحذر **ثم قال لمحمود** : الصـابون جواه مواد متفجرة ، وفى الأغلـب من نفس النوع اللى اسُـــتخـدم فى العملية الأخيرة .

محمود : إيه رأيك هر هانز ؟

هانز محاولاً التماســـك : أنا مواطن ألمانى ومش هتكلم إلا فى وجود محامى وممثل من السفارة الألمانية.

محمود : من حقك طبعاً ويلتف إلى مادلين قائلاً: وإنتى فراو جوتنبرج.

مادلين وقد بدت منهارة: أنا معرفش حاجة.... أنا مليش دعوة بحاجة.

محمود : كده ..... هنشوف ..... هاتوهم وحرزوا الحاجات دى .

(٢٦)

وبالقبض على هانز ومادلين تم اسـدال السـتار على الجرائم التى روعت أحياء القاهرة الهادئة وطالت عدد من العلماء الألمان، وبتفتيش الخزانة الخاصة بهانز عثر رجال المخابرات على قائمة بأسماء شبكة الموساد فى مصر ، حيث تم القبض على عدد منهم وتقديمهم للمحاكمة ، فى حين فر الباقون خارج البلاد.

وفى شقة مصر الجديدة التقى عصام بمحمود عزت للمرة الأخيرة.

عصام بشغف : واعترف بكل حاجة ؟

محمود : فى الأول حاول ينكر اعتماداً على تدخل السـفارة الألمانية .... لكن لما واجهناه بالأدلة اللى ضـبطناها عنده فى الفيلا جهاز الإرسال وكتاب الشفرة وجهاز التسجيل وميكروفونات التصنت بجانب حديثه مع مادلين بعد الحفلة ..... والأهم من ده المتفجرات اللى كان مخبيها فى علبة صابون وسط الكتب .... مقدرش ينكر واعترف بكل حاجة ..... لكنه أنكر أنه يهودى أو إسرائيلى وقال أنه ألمانى مسيحى وأنه اشتغل مع إسرائيل علشان الفلوس ..... .

عصام : طب وماجى ؟

إبتسم محمود إبتسامة عريضة وهو يشير لعصام بسبابته قائلاً : تقصد مادلين مش كده ؟ مادلين أنكرت فى الأول وقالت أنها متعرفش حاجة ..... وأنه أستغلها فى معرفة أخبار العلماء الألمان عن طريق زوجاتهم ..... لكن لما واجهناها بتسجيلنا لحديثهم فى أوضة النوم وأوضة المكتب ..... اعترفت إنها بتشتغل معاه هو وإنها متعرفش حد من رجال الموساد ..... وهانز أكد كلامها ده بإنها بتشتغل معاه هو مش مع الموساد ..... .

أطرق عصام برأسه قائلاً : بس النتيجة واحدة ..... يعنى طلعت جاسوسة هى كمان .

محمود : أيوة ..... **ثم يربت على كتفه قائلاً :** بس الحقيقة إنت كان ليك دور كبير فى القبض عليهم ..... وأنا بإسمى وبإسم جهاز المخابرات بأشكرك على تعاونك معانا ، وبحييك على شجاعتك فإنك قبلت تقوم بالمهمة اللى كلفناك بيها.

عصام : أنا معملتش غير الواجب اللى المفروض يعمله أى مصري لما تكون بلده محتاجاله ..... بصراحة نجاح العملية دى يرجع الفضل فيها بعد الله سبحانه وتعالى لسيادتك يا محمود بيه لإنك إنت اللى وضعت الخطة ، وأنا كنت مجرد أداة بنفذ المطلوب منى وبس ....

محمود : أشـــكرك ..... لكن ده ميمنعش إنى أقول لـك إنـك أديت المطلوب منك على أكمل وجه ، وكنت سـبب رئيسـى لنجاح العملية .....لأنى من البداية راهنت عليك .... وإنت نجحت ومخيبتش ظنى فيك .....على فكرة يا عصـــام العملية دى إنتهت قبل ميعادها اللى كنت متوقعه .... .

عصام بفضول : بجد يا محمود بيه .... إزاى ؟

محمود : أنا توقعت إن العملية دى مش هتنتهى قبل مايو الجاى ..... لكن فيه حاجتين حصـلوا هما اللى عجلوا بنهاية العملية ..... الحـاجـة الأولى عيـد ميلاد نورا اللى كـان بعـد ٣ أيـام من وصـــولها ، وده عجل بســرعة دخولك وســط الألمان ..... الحاجة التانية سـفر هانز لباريس ..... لأنه بعد ما رجع من باريس واشترى الفيلا وحط فيها جهاز الإرسال اللى إستلمه من هنا وبعت بيه أول رســـالة ..... دا خلانا نتأكد أنه هو الجاسـوس اللى بندورعليه ..... ولما عمل حفلة رأس السـنة و زرع أجهزة تصـنت علشـان يسـجل الأحاديث اللى بتدور بين الألمان ، فى نفس الوقت اللى إحنا برضـــه ومن غير ما يحس ، زرعنا ميكروفونات فى أوضة نومه وأوضة المكتب ..... ولما ســـمعنا الحديث اللى دار بين هانز ومادلين بعد الحفلة وإنهم ســجلوا للألمان ، أســتصـــدرنا أمر من النيابة بالقبض عليهم قبل ما يتخلصـــوا من شـــرايط التســجيل التى تعتبر من أهم أدلة الإدانة بالنسبة لهم ، بجانب جهاز الإرسال وتسجيلاتنا بالطبع .....

عصـــام : الحمد لله ..... ده توفيق من ربنا ..... ربنا دايمًا بينصـــر أصحاب الحق .

محمود : ونعم بالله .....على فكرة هانز ومادلين ميعرفوش إنك كنت بتشتغل معنا ..... لأنه قال فى إعترافاته إن رجال الموساد كانوا شـاكين فيك ، وإنك ممكن تكون شـغال مع المخابرات المصرية ..... لكن لما عملوا تحريات عنك وملقيوش حاجة ، بعتوا لـه رســـالـة بتقول إنك ملكش علاقة بالمخابرات المصرية ..... .

إبتسـم عصـام قائلاً : كويس أوي ..... ما دمنا قدرنا نخدع الموسـاد ..... إيه رأي سيادتك فى مهمة جديدة ..... وضربة تانية على رأس ولاد الأبالسة دول ..... .

يضـحك محمود قائلاً : طبعا ما إنت خلاص اسـتهوتك اللعبة ، وبقيت واحد من التعالب .

يبادله عصـام الضـحك ثم يشـير إليه بسـبابته قائلاً : بس حضـرتك التعلب الكبير يا محمود بيه .

يضحك الاثنان .....

تمت...

حب تحت الرماد

(١)

الأضواء تتلألأ والموسيقى تنساب من داخل فيلا الفنانة نجوى سليم التى تحتفل بعيد ميلادها – كما تدعى – الخامس والثلاثين ، والذى يحضره لفيف من أهل الفن والصحافة ورجال الأعمال . تقف نجوى فى حديقة فيلتها وهى فى كامل زينتها لإستقبال مدعويها ، الذين حضروا لتهنئتها بعيد ميلادها وقد ارتدت فستاناً مبهراً نالت به إعجاب المدعوين.

وصل علام البحيرى وكيل وزارة الصناعة بسيارته الفارهة فاستقبلته نجوى بحفاوة **قائلة** :

- سعادة الباشا ..... كنت خايفة أحسن متجيش.
- ■ وده معقول ..... مبروك يا نوجا عقبال مليون سنة .

وتضحك قائلة :

- مليون سنة ... ده أنا كده هبقى عجوزة أوي ومش هقدر أحتفل بعيد ميلادى .

يقهقه قائلا :

- ■ المشكلة .... المشكلة إنك مش هتلاقى رجالة يحتفلوا بعيد ميلادك .
- لليه يا باشا ؟
- ■ لأنك هتكونى دوبتيهم كلهم يا نوجا.

ثم يميل ناحيتها هامساً :

■ بذمتك إنتى اتجوزتى كم مرة لحد دلوقت ؟

- الله .... متحرجنيش بقا ياعلام باشا.
- إمال فين المدام مجتش معاك ليه ؟

■ الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها .... يا ستى المدام تعبانة شوية عندها دورانفلونزا حاد.

- سلامتها ألف سلامة .... تعالى اتفضل هنا يا باشا.

ويجلس على إحدى الطاولات بحديقة الفيلا .

وفى هذه الأثناء تدخل سيدة شابة يبدو من هيئتها أنها من سيدات المجتمع الراقى ، تتبادل هى ونجوى العناق وقبلات الترحاب.

- نانسى حبيبتى ازيك ..... وحشتينى

- وإنتى كمان ..... كل سنة وأنت طيبة عقبال ١٠٠ سنة ..... الله فستانك رائع طول عمرك ذوقك حلو.

- تسلمي لى حبيبتى .... صحبتك كاميليا بتشاورلك هناك اهيه.

- أنا رايحه لها دى وحشانى أوى .... بعد اذنك يا نوجا.

- اتفضلى يا حبيبتى.

إتجهت نانســـى إلى حيث تجلس كاميليا ، والتى ما أن رأتها حتى احتضنتها وقبلتها بحرارة **قائلة** :

- نانسى حبيبتى .... وحشتينى
- وإنتى كمان وحشـــتينى أوى ..... إيه ده يا وحشـــة أكثر من شهرين مشوفكيش ولا تليفون حتى.
- معلش يا حبيبتى كنت بصور فيلم جديد.
- آه علشان كده ... ومين البطل بقا ؟
- عزالدين
- كـاميليـا وعزالـدين فى فيلم واحـد .... أكيـد هيبقى فيلم حلو.....على فكرة مبروك عليكى جـايزة المهرجـان ، حقيقى تستحقيها مسلسك الأخير اللى اتعرض فى رمضان كان هايل.
- تسـلمى لى يا حبيبتى .... دى هويدا خطاب وسـامى صـلاح هناك أهم.

أدارت نانسى رأسها يمنى ويسرى :

- هما فين ؟.... أنا مش شيفاهم ؟

فتشـــير كاميليا بســـبابتها ناحية رجل وإمراة يمســـك كلاً منهما بيد الآخر **قائلة** :

- أهم هناك ....
- أيوة ... أيوه أنا سمعت إن فيه قصة حب ملتهبة بينهم.
- ده صحيح كل الوسط الفنى بيكلم عن علاقتهم ببعض ، خاصة وأنهم ابتدوا يظهروا كتير فى الحفلات والأماكن العامة بعد نجاح مسلسلهم الأخير مع بعض.
- يعنى هيتجوزوا قريب ؟
- أعتقد كده .

وفى تلك الأثناء يدخل مراد الهوارى رجل الأعمال المعروف بصحبة حارسه الخاص ، ويسلم على نجوى ويقبل يدها **قائلًا** :

- ست الكل .... عقبال ١٠٠ سنة
- ميرسى يا مراد بك

ويفرقع بإصـــبعه لحارســـه فيعطيه علبة قطيفة يعطيها بدوره إلى نجوى **قائلا** :

- هديتك يا ست الكل.

وما إن فتحت نجوى العلبة حتى تألق وجهها دهشـــة ، فقالت وهى تخرج ما فيه :

- عقد الماظ .... الله تحفة ..... حقيقى مش عارفة أقول إيه ..... طول عمرك مغرقنى بجمايلك يا مراد.
- ■ ده حاجة بسيطة يا نوجا.
- على فكرة عزت بيه جه من شـــوية وســـألنى إذا كنت جاى الحفلة ولا لا.
- ■ عزت مين ؟ عزت الدمنهوري.
- أيوة.
- ■ شريكى القديم ومنافسى اللدود ... هو فين ؟

وتشير إلى منضدة على حمام السباحة قائلة :

- أهو قاعد هناك على الترابيزة اللى على البســـين ، مع مروان ناجى الصحفى عارفه طبعا.
- ■ سمعت عنه لكن ماتقبلناش قبل كده.
- ■ أنا رايح له ، بعد إذن ست الكل.
- اتفضل يا مراد بك.

ويتجه مراد وحارسه إلى حيث يجلس عزت ومروان.

وعلى أحد المناضد المجاورة :

- أمجد باشا حمدالله على السلامة.

ينفث أمجد دخان السيجار الذى يدخنه فى الهواء قائلاً :

- الله يسلمك يا سليمان.
- وصلت إمتى من بره يا اكسلانس.
- السبت اللى فات.
- إن شاء الله كانت رحلة عمل موفقة.
- الحمدلله .... قدرت أخد توكيل شـــركة الســـيارات الكوري الجديدة ، وطلعت على الصين عملت كام صفقة كده.
- طول عمرك بزنس مان ناجح يا اكسلانس.
- السوق كده يا عزيزي يا تاكله يا ياكلك هو ....

ثم يشــيرفى هدوء وحذر بأبهامه ناحية المنضــدة التى يجلس عليها مراد وعزت **قائلاً** :

- مش مراد الهوارى اللى قاعد هناك مع الدمنهورى.

يختلس سليمان النظر إلى حيث أشار أمجد قائلاً :

- أيوه هو ..... ده معاهم مروان ناجى .... الصحفى أياه

امتقع وجه أمجد حين سمع اسم مروان فقال بإشمئزاز :

- الولد ده أنا مبحبوش ..... طالع فيها وفاكر نفســـه هيصـــلح الكون بمقالاته ، هو فاكر لما يهاجم الحيتان الكبار هيسيبوه.
- فعلا يا اكسلانس ده زودها أوي ، ولازم يقف عند حده.

قـامـت بعض المـدعوات بـالرقص أمـام مطرب الشـــبـاب ثم ارتفعت الأصوات :

– عايزين نجوى .....عايزين نوجا.

قامت نجوى بناء على طلب مدعويها بالرقص منفردة على أنغام الموسيقى وسط تشجيع حار من المدعوين ، ثم شاركها الرقص بعد ذلك عدد من أصدقائها.

نهضت نانسى مستأذنة :

- بعد إذنك يا كاميليا هروح أصـلح مكياجى .... أنا حاسـة إن النهاردة الرطوبة عليا قوى.
- اتفضلى يا حبيبتى.

ذهبت نانســى لإصــلاح زينتها ، وقبل أن تصــل إلى الحمام تناهى لسمعها صوت شجار بين رجلين يصدر من إحدى الغرف ، فأرهفت سمعها **وإذ أحدهما يهدد الأخر بقوله :**

- لو مقلتليش فين المستندات هيكون آخر يوم فى عمرك.
- نجوم الســماء أقرب لكم من اللى إنتوا عـايزينـه .... إنـت فاكرنى هخاف من المسدس اللى فى إيديك ده.

جرها الفضول لتنظر ماذا يحدث ، فشاهدت من شق الباب – على ضوء الغرفة الخافت – رجل ممسك بمسدس مصوبه لرجل آخر ، فقالت بصوت خفيض وقد راعها المشهد :

- ياخبر أسود ده ماسك فى ايده مسدس بيهدد بيه واحد .... بس مين ده ؟ الراجل ده أنا عارفاه ثم أخذت تضرب براحتها على جبينها قائلة : .... مين .... مين يا ربى ؟..... أيوه ده مروان الصحفى.
  - إن مكنتش خايف على نفسك خاف على مراتك وعيالك.

بصق مروان على الرجل قائلاً :

- انت كلب زى الكلاب اللى مشغلينك.

شعرالرجل الممسك بالمسدس بالإهانة ، فضغط على زناد مسدسه فخرجت منه طلقة استقرت فى صدر مروان الذى سقط على الأرض مضرجاً فى دمائه.

كتمت نانسى صرخة كادت أن تخرج منها ، وبسرعة انكب القاتل على القتيل يبحث فى طيات ثيابه عن شئ ما، لم تشعر نانسى بيدها وهى تضغطها بعفوية على الباب إلا حين انفتح على مصرعه فغمر الضوء الخارجى ضوء الغرفة الخافت ، وهنا التقت عيناها بعين القاتل الذى قررعلى الفور التخلص من الشاهدة الوحيدة على جريمته فصوب إليها مسدسه ، لكنها سبقته وأطلقت ساقيها للريح **وهى تصرخ :**

- الحقونى .... الحقونى .... عايز يموتنى.

ســاد الهرج والمرج بين المدعوين الذين تجمعوا حول نانســى التى انتابتها حالة من الذعر، **فوجهوا سؤالهم إليها :**

– إيه اللى حصل .... فيه إيه ؟ ومين اللى عايز يموتك ؟

أجابتهم بأنفاس لاهثه :

- مروان ..... مروان اتقتل ، ولما القاتل عرف إن أنا شفته كان عايز يموتنى أنا كمان.

وارتفعت الأصوات :

- مروان اتقتل .... مروان مين ؟ ... مروان الصحفى ... فين ؟

أشارت نانسى إلى جهة الغرفة التى لقى فيها مروان مصرعه قائلة :

- هناك فى الأوضة اللى جنب الحمام.

فأسـرعوا معها حيث اقتادتهم إلى مكان الجريمة ، وشـاهدوا الصـحفى مروان يرقد على الأرض وسط بركة من الدماء ، **وتعالت الأصوات :**

– " اتصـلوا بالبوليس يا جماعة "..... " حد يتصـل بالبوليس محدش يمسك حاجة لحد البوليس ما ييجى " .

وفى غضون دقائق حضرت الشرطة ، وتوجه معاون المباحث إلى نانسى التى جلست وهى شبه منهارة :

- مدام نانسى حضرتك الشاهدة الوحيدة على الجريمة .... ممكن تحكيلي اللي شوفتيه وسمعتيه بالظبط.

■ أنا كنت رايحة التواليت أصـــلح مكياجى ، وقبل ما أوصـــل سمعت صوت اتنين بيزعقوا، فجرنى الفضول إنى أشوف اللى بيحصـل خاصـة بعد ما سـمعت واحد فيهم بيهدد التانى، وباب الأوضة مكنش مقفول كويس .....

- يعنى كان موارب ....

■ بالضـبط .... فشـفت القاتل بيهدد مروان بمسـدس كان فى إيده وبيسأله عن مستندات .... .

- مستندات .... مستندات عن إيه ؟

■ مش عارفه ..... لكن مروان رد عليه رد قاســـى فالقاتل راح مموته ، ولما شاف إن أنا شوفته كان عايز يقتلنى أنا كمان.

- يعنى تقدرى تتعرفى على القاتل لو شفتيه.

■ طبعًا أنا مش ممكن أقدر أنساه.

- يعنى ممكن تتعرفي عليه من وسط المدعوين.

■ أيوة.

أخذت نانســـى – وبجوار ها معاون المبـاحث – تتفحص وجوه المدعوين الذين تجاوزوا الخمسين فرداً، **وعندما انتهت قالت يائسة :**

- القاتل مش فيهم.
- إنتي متأكدة.
- طبعاً.
- طيب إحنا هنســيب حضــرتك دلوقت ، ويا ريت حضــرتك تشرفينا بكرة الصبح فى سراي النيابة لاستكمال التحقيق .
- إن شاء الله.

(٢)

غادر المدعوين فيلا نجوى غير مصـــدقين ما حدث فى تلك الليلة ، أما نانســى فلم تنم ليلتها وظلت تتذكر ما حدث، كانت عقارب الســاعة تشير إلى الرابعة صباحاً عندما انتفضت نانسى من سريرها حين دق جرس الهاتف فجأة ، ولما أجابت ســمعت على الطرف الآخر صــوت رجل **يقول :**

– إزيك يا مدام نانسى .... يا ترى عرفتي صوتي.

انتابت نانسى حالة من الهلع عندما سمعت صوت المتحدث ، فهو نفس صوت الرجل الذى قام بقتل مروان.

فقالت بعد أن استجمعت رباطة جأشها بصوت بدا مشوبًا بخوفها.

- إنت عايز منى إيه ؟
- أنتِ الصبح هتروحى النيابة مش كده ؟

أجابته بعد تردد :

- أيوة.

– شــوفى بقا لما وكيل النيابة يســألك عن أوصــاف القاتل أوعى تديهم أوصـــافى .... قولى لهم إنك مش متأكدة من شـــكله.... إنتي فاهمة ولا.... .

أجابت وهى تبتلع ريقها بصعوبة من شدة الخوف :

- فاهمة .... فاهمة.
- عارفة لو منفذتيش الكلام ده هيحصلك إيه.

قالت بصوت متهدج وهى تضع يدها على رقبتها :

- عارفة .... عارفة .
- مع السلامة يا مدام، ويغلق الهاتف.

أشعلت نانسى سيجارة بيدٍ مرتعشة وظلت تدخن بعصبية ، ثم دفنت رأسها بين كفيها وقالت بلهجةِ الحائرةِ اليائسة :

يا ربى أعمل إيه فى المصيبة دى ؟ أنا تفكيرى اتشل خلاص .... .

أروح النيابة وأقول اللى شفته ولا لأ ؟ مش عارفة أعمل إيه .... .

مش قادره أخد قرار دماغى هتنفجر ..... .

وعندما أعياها التفكيرتناولت قرص مهدئ ، وفى دقائق كانت فى سباتٍ عميق، فى الصباح انتبهت الخادمة هنادى على صوت صرخة من مخدومتها ، فجرت مسرعة إلى غرفتها وعندما فتحت الباب **بادرتها بقولها :**

- ستى مالك فى حاجة ؟

أجابتها بأنفاسٍ لاهثة :

- كابوس .... كان كابوس فظيع.
- بعد الشرعنك يا ست نانسي.
- هى الساعة كام دلوقت ؟
- الساعة تجيلها تسعة ياستي.
- طيب اعملى لى فنجان قهوة.
- مش هتفطرى الأول يا ستي.

قالت وهى تشعل سيجارة :

- لا مليش نفس.

ظلت نانســـى تجوب حجرتها ذهاباً وإياباً مترددةً فى الذهاب للنيابة وقول الحقيقة ، **ثم قالت لنفسها بصوت مسموع وبلهجة حازمة :**

– لازم أروح النيابة وأقول الحقيقة.

(٣)

استقلت نانسى سيارتها واتجهت إلى سراى النيابة ، وفى مكتب وكيل النائب العام بدأ التحقيق معها :

- اسمك وسنك وعنوانك ؟
- نانسى توفيق الكاشف ..... السن ٣٢ سنة ..... العنوان ٥ شارع العقبة..... بالشيخ زايد.
- إيه اللى حصل ليلة الأحد الموافق ٢٨ /٦ ؟

قصت نانسى على وكيل النيابة ماحدث فى تلك الليلة.

- هو ده كل اللى حصل.
- أيوه هو ده كل اللى حصل بالتفصيل.
- مش ناسية أى حاجة.
- لا يا فندم.
- طيب إتفضلى امضى على أقوالك ..... .

وقعت نانسى على أقوالها وهمت بالانصراف ، فاستوقفها وكيل النيابة قائلاً :

- فيه نصيحة عايز أقولهالك.
- نصيحة إيه ؟
- ياريت تشوفى شركة أمن علشان تحميكى لحد ما يتم القبض على القاتل.

راقتها الفكرة فشكرت وكيل النيابة ممتنة :

– عندك حق .... متشكرة جداً لسيادتك.

خرجت نانسى من مكتب وكيل النائب العام فاستقلت سيارتها ، وأخرجت هاتفها المحمول من حقيبتها وقامت بالاتصال بصديقتها نجوى :

■ أيوة يا نجوى ..... أنا لسه خارجة دلوقت حالاً من سراي النيابة.

- أنا رحت قبل منك ووكيل النيابة أخد أقوالى ويدوبك لسه واصلة البيت حالاً .... أنا لحد دلوقت مش مصدقة المصيبة اللي حصلت دي .... جريمة قتل في بيتي وفي يوم عيد ميلادى.

■ معلش يا نجوى .... محدش يعرف الغيب ..... إمال أنا أعمل إيه فالقاتل اللى بيهددنى .... .

- صحيح هتعملي إيه ؟

■ أنا حكيت لوكيل النيابة كل اللى حصل ، ونصحنى إنى أتعاقد مع شركة أمن تتولى حراستى لحد ما يقبضوا على القاتل.

- كلامه مظبوط يا نانسي ..... أنا أعرف صاحب شركة أمن وحراسات سمعتها كويسها ، أنا هكلمهولك.

■ يا ريت يا نجوى أحسن أنا حاسة إني عايشة فى كابوس.

- متشغليش بالك أنا هكلمه على طول بعد ما أقفل معاك .

■ تسلمى لى يا حبيبتي ..... مع السلامة.

- مع السلامة.

(٤)

دق جرس الهاتف المحمول الخاص بعلاء مكاوى مدير شـــركة العلايلى للحراسات :

- ألو .... أيوه يا سمير بيه.
- أيوه يا علاء .... بقولك نجوى سليم اتصلت بيا ....عارفها.
- أيوه عارفها ....الممثلة مش كده.
- تمام ..... هى لسه مكلمانى دلوقت بتقول فيه واحدة صحبتها واحد بيهددها بالقتل وطلبت إن إحنا نحميها.
- مفيش مشكلة.
- بكرة الصبح تروح فيلتها وتقابلها وتعمل اللازم.
- طب ممكن تدينى إسمها وعنوان الفيلا.
- إسمها نانسى الكاشف وفيلاتها فى الشيخ زايد.

عقد علاء حاجبيه دهشة وتنهد بعمق وهو يردد بصوت خفيض :

- نانسى الكاشف
- علاء أنت معايا
- أيوه يا سمير بيه معاك
- مش نانسى الكاشف دى اللى كانت ممثلة إعلانات.

- تمام هى بعينها.... خد بالك دى متوصى عليها جامد قوى من نجوى
- إن شاء الله أروح بكرة وأعمل اللازم.
- سلام يا علاء.
- مع السلامة يا سمير بيه.

وما أن أنهى علاء مكالمته حتى شرد ذهنه ، **فحدث نفسه قائلاً** :

نانسى الكاشف بعد السنين دى ..... مش معقول

(٥)

وفى اليوم التالى ذهب علاء ومعه اثنين من طاقمه إلى فيلا نانسى.

- ستى فيه جماعة عايزينك بيقولوا إنهم تبع شركة الأمن.
- قعديهم فى الصالون لحد ما ألبس.

بعد دقائق دخلت نانســـى فحدجها علاء بنظرة ثاقبة ثم قدم لها نفسه قائلاً :

- مدام نانســـى .... معاكى علاء مكاوى مدير شـــركة العلايلى للحراسات اللى طلبتى تتعاقدى معاها.

تفرست نانسى وجهه للحظة ثم ابتسمت أبتسامة عريضة ومدت يدها إليه قائلة :

- مش معقول ....علاء.. ازيك يا علاء إنت مش عارفنى ولا إيه!

رد عليها بلا مبالاة :

- طبعا عارف سيادتك .... بعد إذنك تسمحى لنا نعاين الفيلا.

دهشت نانسى من تصرف علاء الجاف فقالت وقد غابت ابتسامتها:

- اتفضلوا.

علاء لمعاونيه :

- عاينوا إنتوا الجنينة وحددوا مكان تركيب الكاميرات ، وأنا هعاين الفيلا من جوه.

وعندما انصرفوا تبعته نانسى قائلة :

- علاء ... مالك إنت بتعملنى بجفاء كده ليه ..... بقا بعد السنين دى تكون طريقتك فى الكلام معايا كده.

كست الصرامة والجدية وجهه وهو يجيبها :

- أنا بشوف شغلى يا هانم.

ظهر الاستياء على وجهها وهى تردد كلمته الأخيرة :

- هانم
- تسمحيلي أكمل شغلى وأعاين الفيلا بتاعتك.
- علاء لازم تسمعنى .... اللى حصل ده كان غصب عني.
- غصب عنك ..... إيه هو اللى غصب عنك ..... إنتي غدرتي بيا وضحيتي بحبي علشان طموحك.

ثم أمسكت بذراعه وقالت متوسلة :

- والله العظيم ياعلاء أنا عمرى ماحبيت ولا هحب حد غيرك دي الحقيقة اللى لازم تعرفها.
- لو سمحتي سيبي دراعي ..... أرجوكي أنا مش عايزأتكلم فى اللى فات ..... خليني أشوف شغلى لو سمحتي.
- علشان خاطرى اسمعني.
- لما أخلص المعاينة أبقى أسمعك.
- حاضر هستنى لما تخلص.

بعد أن أتم علاء معاينة الفيلا ذهب لرجاله بالخارج :

- إيه الأخبار يا رجالة ؟

* كله تمام يا علاء بيه ، حددنا مكان تركيب الكاميرات وأماكن الحراسة فى الفيلا.

ثم رجع إلى نانسى التى كانت فى انتظاره فقال لها بلهجة جادة :

- أنا عايزك تحكيلي اللى حصـــل من ليلة الحادث لحد انهاردة ....علشـــــان أقـدر أحـدد إيــه المطلوب وإيــه اللى ممكن نعمله بالظبط.

قصت نانسى عليه ماحدث بالتفصيل ولما انتهت بادرها قائلاً :

- بس فى سؤال خطرعلى بالي عايز أعرف إجابته منك.
- عايز تعرف إيه ؟
- إيه اللى خلاكى تقولى الحقيقة وتدلى بأوصـــاف القاتل للنيابة برغم تهديده ليكى ؟
- سببين .... الأول مروان.
- مروان ... إزاى مش فاهم !
- مروان جالى فى المنام وهدومه غرقانة دم وقالي مضـــيعيش حقى ، دمي أمانة فى رقبتك.
- وطيب والسبب التاني.
- والســبب التانى أن القاتل مكنش هيســبنى ســواء قلت الحقيقة وأدليت بأوصـافه أو ضـللت العدالة وأدليت بأوصـاف شـخص تانى، فى الحالتين هيحاول يأذينى أو يتخلص منى ويقتلنى.

أومأ علاء برأسه دلالةً على اقتناعه بما أبدته من أسباب.

- ده حقيقي وســـبب معقول برضـــه ..... على العموم أنا مش عايزك تخافي ، والقاتل هيتقبض عليه إن شاء الله .
- أنا فعلاً مطمنة طول ما انت جنبى .... .

فقاطعها قائلاً :

- إحنا دلوقت هنركب كاميرات حوالين الفيلا ، وفى أربعة من رجالتنا هيتناوبوا حراســـة الفيلا اتنين بالنهار واتنين بالليل ، وتحركاتك من انهاردة هتكون فى أضــيق الحدود .... وأنا من دلوقت مسئول عن أمنك وسلامتك ، يعنى لازم تسمعي كلامي مهما كان .... ويستحسن متخرجيش انهاردة .
- اللى تشوفه ..... علاء أنا عايزة أتكلم معاك.
- مش هينفع دلوقت ..... .
- طب هشوفك بكرة مش كده .
- إن شـــاء الله ..... أنا هكتب العقد وأجيبه معايا بكرة علشـــان تمضيه .... سلام يا مدام .

ردت عليه بصــوت متقطع يحمل فى طياته الفرح بعودته وخيبة الأمل من جفاء لقاءه :

- سلام .... سلام يا علاء.

(٦)

وفى صباح اليوم التالى تهيأت نانسى لاستقبال علاء فارتدت بلوزة مفتوحة الصدر وتنورة قصيرة أظهرت مفاتن جسدها البض ، فقالت لنفسها بعد أن تزينت وصففت شعرها أمام المرآة : علاء كان بيحب التسريحة دي.

استأذنت هنادى فى دخول الغرفة فأذنت لها قائلة :

- ادخلى يا هنادي.
- بسم الله ما شاء الله .....عيني عليكي باردة يا ست نانسي ..... إنتي أنهاردة زي البدر المنور.
- صحيح يا هنادي.
- طبعاً يا ستى ..... أحضرلك الفطار.
- لا استنى لما يجي البيه اللى كان هنا امبارح.
- بيه مين ؟ آه بتاع شركة الأمن.
- أيوة هو.... أول ما يجي تجهزي الفطار على طول.

ثم نظرت لنانسي نظرة ماكرة وقالت بخبث :

- آه ..... أنا كده فهمت.
- فهمتي إيه يا غلابوية .... يلا بطلي كلام وروحي شوفي اللى وراكي
- حاضر يا ستي.

بعد دقائق حضر علاء و بيده ملف أوراق ، فسلم على نانسي التي كانت فى انتظاره.

- صباح الخير يا نانسي.
- صباح الخير يا علاء.
- يا لا نفطر سوا .... أنا مرضتش أفطر إلا لما تيجي.
- أنا فطرت الحمد لله ..... اتفضلي افطري إنتي وأنا هستناكي هنا.

– لا خلاص مش هفطر.

هز علاء كتفيه بلامبالاة قائلاً :

- على راحتك.
- يبقى تشرب قهوة معايا.
- مفيش مانع .... يبقى قهوة مظبوط...

ويشير للملف الذى بيده قائلاً :

- أنا جبت لك العقد معايا.
- تعالى نقعد فى الصالون.

ثم تنادى على خادمتها :

- هنادى هاتيلنا اتنين قهوة مظبوطة ....
- حاضر يا ستي.

قرأت نانسى العقد ثم ناولته لعلاء..

- قريتي العقد كويس.
- أيوة.
- فيه أي ملحوظة أو استفسار.

- لا .

- طب اتفضلى وقعى

وبعد أن وقعت العقد قال لها :

- اتفضلى نسختك.

تناولت نانسى العقد من علاء ثم خرجت وجاءت فى يدها ورقة ناولتها لعلاء قائلة :

- وآدى شيك بالمبلغ اللى فى العقد.

تفحص علاء الشيك ثم وضعه فى جيبه قائلاً :

- تمام ..... إن شاء الله بكرة الصبح هنيجي نركب الكاميرات.

ولما هم علاء بالانصراف أشارت إليه قائلة :

- علاء اقعد شوية ، أنا عايزة أتكلم معاك ولازم تسمعني.

أشاح إليها بيده قائلاً باقتضاب :

- أرجوكي .... بلاش نفتح أي كلام وننبش فى الماضي.
- علاء أنا متخلتش عنك وسيبتك زي إنت متصور..... بالعكس إنت اللى تخليت عني وسبتني ..... أنا بعد ماجت لي فرصة إني أشتغل ممثلة اعلانات وإنت رفضت وزعلت مني ، حاولت بعدها أتصل بيك لقيتك غيرت رقم تليفونك، ولما رحت أسأل عليك بواب العمارة قال لي إنكم عزلتم وسيبتم اسكندرية.

فقال بغضب :

- رقم تليفوني يا هانم أنا غيرته بعد ما استنيتك أسبوعين كاملين بعد آخر مرة كنا فيها مع بعض ..... لإني ساعتها حسيت خلاص إن كل حاجة بينى وبينك انتهت.

- ببساطة كده ..... صحيح أنا كنت من زمان نفسى أكون ممثلة اعلانات لكن مش على حساب حبي ليك .... آه لو تعرف اللي حصلي بعد ما سيبتني ....

رماها علاء بنظرة ساخرة قائلاً باستهزاء :

- آه ... زي الفيديو بتاعك مش كده.

- شفت إنت إزاي بتظلمني .... الفيديو ده كان متفبرك ، واللي عملته ناهد خطيبة ممدوح القديمة .....

- ممدوح ده جوزك مش كده.

- أيوة .... أصلها كانت فاكرة إن أنا خطفته منها فحبت تنتقم منى وتسوء سمعتي ، متعرفش إن أنا رفضته أكتر من مرة لأني كنت لسه بحبك وكان عندى أمل إن إحنا نرجع لبعض تاني .....

- وبعدين اتجوزتى ممدوح ؟

- فعلا لما ممدوح عرف الحقيقة وإن ناهد هى اللى وراء الملعوب ده صمم إنه يتجوزني ..... وشرط علي إني أسيب التمثيل وأكون شريكته فى شركة الاعلانات فوافقت واتجوزنا.

- يعنى كنت سعيدة.

- أنا كنت فاكرة كده ، صحيح كان عندي كل حاجة تحلم بيها أي واحدة ، فيلا وعربية وفلوس فى البنك، لكن مش دي السعادة اللى كنت بحلم بيها ، كان نقصني أهم حاجة ، حاجة مكنتش بحس بيها إلا وأنا معاك .....

- ليه هو مكنش بيحبك وحفي وراكي زي ما قولتي.
- مع الأسف ممدوح إتغير ١٨٠ درجة بعد الجواز ، أو بمعنى أصح معرفتوش على حقيقته غير بعد الجواز.
- إزاي يعني !
- ممدوح كان شغله أهم حاجة فى حياته ... حتى أهم مني.
- بس ده طبيعي ، أى راجل لازم يهتم بشغله.
- بس مش على حساب بيته وكرامة مراته ..... وياريتها جت على الشغل وبس ..... البيه كان صاحب غراميات كان كل يوم يعرف واحدة شكل ، والمصيبة إني اكتشفت أنه بعد ما مات كان متجوز ومخلف ولد .... ساعتها حسيت إنى غلطت فى حق نفسي غلطة كبيرة لما اتجوزته .... وبعدين اضطريت أشتري من مراته التانية نصيبها ونصيب إبنها علشان الشركة تفضل ليا لوحدي.
- وإنتي معندكيش أولاد منه ؟
- لا .
- أنا شايفه فى صباعك الشمال دبلة ، إنت متجوز من زمان ؟
- من خمس سنين.
- وعندك أولاد ؟
- شروق عندها أربع سنين
- ربنا يخليها لك .... ومراتك بتشتغل ولا ست بيت ؟
- فريدة محاسبة فى بنك.
- هي إسمها فريدة ؟
- أيوة.
- وإنتوا إتجوزتوا عن حب ؟

عقد علاء حاجبيه دهشة فلم يتوقع أن تسأله نانسى سؤال كهذا فأجابها بهدوء :

- لا جواز تقليدي ..... جواز صالونات يعني.
- الظاهر إن الحب الأول هو بس اللى بيعيش فى قلوبنا مهما طالت السنين وفرقت الدنيا بين الحبيبين... ولا إنت إيه رأيك ؟

تلعثم علاء فقد فطن إلى ما تقصده نانسي بعبارتها فأطرق برأسه قائلاً:

- كلامك صحيح .....

ثم سكت برهة واستطرد قائلاً :

- لكن فيه حب بيتولد مع العشرة.
- جايز يكون كلامك صحيح ، لكن يفضل الحب الأول هو الحب الحقيقي لأن المشاعر بتكون فطرية صادقة زى ما ربنا خلقها، لأن العقل مبيكونش له اختيار في اللي بنحبه، لكن القلب هو اللي بيختار وأنا .....

وتوقفت عن الكلام ونظرت إليه نظرة عاشقة طال إنتظارها لمحبوبها ، أطال علاء النظر في عينيها وشرد ذهنه كأن الزمان عاد به إلى الوراء إلى الإسكندرية حيث ولد حبه الأول ، وبادلته نانسي النظرات ورأت فى عينيه بريق لم تره منذ أن رأته حديثاً ، بريق كانت تراه فى صباها بريق اللهفة والأمل والحب، فاقتربت أناملها بهدوء لتضعها على يده برفق ، فأمسك علاء بيدها ووضعها فى كفه وضغط عليهما فى حنان ، أغرورقت عينيها وقالت بصوت خفيض يفيض عذوبة ورقة :

- علاء أنا بحبك أوي ، ومش هسمحلك تسيبني تاني أبداً.

تبادل الاثنان النظرات ثم تعانقا فى لهفة واشتياق ، **فمسح علاء على شعرها برفق قائلاً :**

- يا حبيبتي يا نانسي.

وضعت نانسى رأسها على صدره بعد أن جلسا سوياً على الأريكة ، **فقالت بعد أن تنهدت ارتياحاً :**

- ياه ..... كنت محتاجة لحضنك ده أوى .... أنا بحضن فيك سنين حلوة عشتها معاك وسنين تانية كنت أتمنى أعيشها معاك ...

ثم أمسكت يده وطبعت عليها قبلة حانية **ثم أردفت قائلة :**

- علاء أبوس إيدك متتخلاش عني تاني.... أنا مليش حد غيرك دلوقت.

مسح علاء على شعرها بحنان قائلاً :

- متخفيش أنا هفضل جنبك ، وعمري ما هتخلى عنك أبداً.
- تعرف يا علاء أنا حاسة بإيه دلوقت.
- بإيه ؟
- حاسة كإن السنين اللى راحت من عمري وإنت بعيد عني رجعتلي تاني.

فقال وهو يطوق ذراعه حول كتفيها :

- هو ده برضه نفس إحساسي وأنا معاكي دلوقت.

لم يدرى الاثنان كم مر من الوقت وهو يتبادلان عبارات العشق والغرام إلا حين سمعا صوت هنادى **وهى تطرق باب الغرفة قائلة :**

■ ست نانسي أحضر الغداء.

اعتدل الاثنان فى جلستهما ثم نظر علاء فى ساعته.

- إنت بتبص فى ساعتك ليه ؟
- علشان لازم أمشي دلوقت.
- علشان خاطرى خليك معايا ... طب اتغدى معايا وبعدين امشي.

فضرب براحته على ظهر كفها برفق قائلاً :

- غصب عني يا حبيبتي.
- فهمت .... مراتك.
- خلاص نتغدى سوا بكرة.
- إن شاء الله .....

ثم قبلها من وجنتيها قائلاً :

- مع السلامة يا حبيبتي.

فاحتضنته قائلة :

- بلاش تمشي.

فدفعها برفق قائلاً :

- أنا كده اتاخرت أشوفك بكرة ..... سلام بقه.
- مع السلامة يا حبيبي.

(٧)

فتح علاء باب شقته فوجد شروق تلعب بعروستها فى الصالة ، وما أن شاهدته **حتى جرت عليه صائحة :**

- بابا جه .... بابا جه.

ففتح ذراعيه وعانقها قائلا :

- وحشتيني أوي يا حبيبتي.
- إمال فين ماما ؟
- فى المطبخ

إتجه إلى المطبخ فوجد زوجته تُعد الطعام فقبلها من وجنتيها **فبادرته قائلة :**

- حمدالله على السلامة يا حبيبي .....
- الله يسلمك يا حبيبتي .... يا ترى عمللنا إيه أنهاردة ؟
- صينية الرقاق اللي طلبتها ومكرونة بشاميل.

يقبل يدها قائلاً :

- تسلم ايديكي.
- يلا ....عقبال ما تغير هدومك وتاخد دش يكون الغداء جاهز.

جلس علاء لتناول الطعام مع أسرته الصغيرة ، وشرد بذهنه للحظات فيما دار بينه وبين نانسي ، **ولم يتنبه إلا على قول فريدة التى لاحظت شروده :**

- هيه .... مالك رحت لحد فين.

- لا أبداً مشاكل فى الشغل.

■ على فكرة بابا وماما عازمينا على الغداء بكرة ..... إيه ظروف شغلك ؟

- إنتي عارفة يا حبيبتي إن شغلنا ملوش ميعاد ثابت ، خدي شروق وروحي إنتي ولو أنا خلصت بدري هجيلكوا على هناك.

■ اللي تشوفه.

وبعد أن تناول علاء غداءه قال لفريدة :

- أنا داخل اريح شوية علشان نازل الساعة ٦.

■ وأنا هقوم أغسل المواعين.

حاول علاء النوم ولكن هيهات ، فظهور نانسي المفاجئ فى حياته وما حدث من تجدد الحب القديم بينهما اليوم ، قلب حياته المستقرة رأساً على عقب.

(٨)

أصبح علاء ونانسي متلازمان ، فهما يقضيان معاً أغلب ساعات اليوم – سواء فى شركة الاعلانات لديها أو فى فيلتها أو حتى فى سهراتها الخارجية – فهذا ما تقتضيه مهنة علاء فهو المسئول الأول عن أمنها وسلامتها.

وفى أحد الأيام وبينما كان علاء ونانسي بمكتب الشركة طرقت السكرتيرة الباب :

- اتفضل
- جواب علشانك يا مدام نانسى
- مِن مين ؟
- مش عارفة ، الظرف معلهوش اسم.
- طيب مين اللي جابه ؟
- إحنا لقيناه فى صندوق الجوابات.
- طيب روحي إنتي.

فتحت نانسي الخطاب لتقرأه وما أن انتهت من قراءته حتى علت الكآبة وجهها وبدى الخوف واضحاً فى عينيها، لاحظ علاء الذى كان يجلس أمامها هذا التغير **فبادرها قائلا :**

– مال وشك إتغير ..... هو الجواب فيه إيه ؟

ناولته الخطاب قائلة :

- خد إقرا.

تناول علاء الخطاب من نانسي وقرأه بصوت مسموع :

" مدام نانسي أظن إن أنا حذرتك إنك تبلغي البوليس لكن الظاهر إنك مبتحبيش تسمعي الكلام، إنتي فاكرة إن الحرس اللي جبتيهم هيحموكي مني تبقي غلطانة، على العموم أنا اخترتلك الموتة اللي تليق بيكي وبجمالك يا حلوة."

تفحص علاء الخطاب والظرف ثم عقب قائلاً :

- الجواب مكتوب على الكمبيوتر ومعلهوش توقيع ..... والظرف مش مكتوب عليه غير يُسلم ليد مدام / نانسي الكاشف.
- وبعدين يا علاء أنا خايفة أوي.

نهض علاء من مقعده وإتجه إلى حيث تجلس فأخذ برأسها ووضعها بحنان على صدره ومسح براحته على شعرها **قائلا** :

- متخفيش يا حبيبتي .... مش هيقدر يعملك حاجة طول ما أنا جنبك .... ثم وضع رأسها بين كفيه ونظر فى عينيها **واستطرد قائلا :**
- إنتي مش واثقة فيا ولا إيه ؟
- طبعاً واثقة فيك يا حبيبي ..... أنا مش عارفة لو مكنتش جنبي فى الظروف دي أنا كنت هعمل إيه ..... إنت ربنا بعتك ليا في الوقت المناسب ، تخيل جريمة قتل تحصل علشان نرجع لبعض بعد ١٢ سنة.
- فعلاً .... وكأن القدر بيخطط لنا حياتنا من جديد ..... المهم دلوقت الجواب ده لازم نروح نوديه للبوليس.
- ومستني إيه يلا بينا.

(٩)

مر أكثر من شهر منذ التقى علاء بنانسى بعد سنوات من الفراق وكل منهما يزداد قرباً وتعلقاً بالآخر ، ولكن كان ذلك على حساب زوجته فريدة التى لاحظت هذا التغيير.

■ إيه الحكاية يا علاء ؟

- حكاية إيه يا فريدة ؟

■ يعنى مش عارف .... علاء إنت إتغيرت أوي .... بقالك يجى شهر كده زى متكون فى حاجة مخبيها عليا ..... دايماً سرحان وبتغيب كتير عن البيت، إيه الحكاية ؟

حاول علاء أن يخفى ارتباكه فقال بدهشة مصطنعة :

- أنا مش فاهم إنتي بتتكلمي عن إيه ! ثم غيابي عن البيت ده شغل.

■ شغل إيه اللي بتتكلم عنه .....علاء إنت بتكون معايا بجسمك بس .... بس بدون أحاسيس ولا مشاعر ، معايا لكن عقلك بيكون فى حتة تانية .....

توقفت فريدة عن الكلام و رمقته بنظرةٍ ثاقبة ثم أردفت قائلة :

■ وده معناه إن فيه واحدة تانية فى حياتك هيا سبب التغيير ده.

بدا الارتباك على وجه علاء وكادت الكلمات تتلعثم على شفتيه ، ولكنه استطاع أن يستجمع رباطة جأشه **فقال بهدوء مصطنع :**

– واحدة تانية ... إيه التخاريف دى ...

فقاطعته بحدة وهى تشيح بيدها مستنكره :

■ لا مش تخاريف .... بيقولوا صاحبة القضية اللي إسمها نانسى حلوة قوي وغنية ، أكيد أعجبت بيك ووقعتك فى غرامها .....

- الظاهر إنك إتجننتى يا فريدة.

فصرخت بعصبية :

■ أنا برضه اللى اتجننت.

احتقن وجه علاء غضباً ورفع يمناه عالياً وهم بضربها **قائلاً** :

- إنتي من إمتى بترفعي صوتك عليا يا فريدة.

ثم ضم قبضته واخفضها بعد أن كظم غيظه ، **فقالت بصوت متهدج** :

■ بترفع ايدك عليا .... عايز تضربني يا علاء.

عندئذ انخرطت تجهش بالبكاء ، **فقالت بصوت مبحوح :**

– علاء أنا حاسة إنك بتضيع مني ..... أنا وبنتك ملناش غيرك.

فاحتضنها قائلاً :

– وأنا كمان مليش غيرك إنتي وشروق ، إنتوا أغلى حاجة ليا فى الدنيا.

فتنهدت ارتياحاً واحتضنته بقوة قائلة :

– صحيح يا علاء.

قبل علاء رأسها ومسح دموعها بأنامله قائلاً :

– صحيح يا حبيبتي .....

ثم تنهد قائلاً :

- أنا حاسس إن ملف القضية دى قرب ينتهي.

■ يا ريت ياعلاء.

- إن شاء الله يا فريدة.

(١٠)

وجد علاء نفسه بين شقي رحى زوجته وإبنته من ناحية وحبه القديم من ناحية أخرى، حاول التضحية بحبه القديم من أجل أسرته الصغيرة لكنه لم يفلح ، وفى أحد الليالى ذهب إلى نانسي كعادته فوجدها فى انتظاره على أحر من الجمر.

- إتاخرت عليا ليه ياحبيبي دي الساعة بقت سبعة.
- معلش يا حبيبتي كنت معزوم على الغداء زي مقولتلك ، ويدوبك عرفت أخلع.
- أنا اللى هعملك العشاء بإيدي انهاردة مش هنادي.
- تسلم ايديك يا حبيبتي.

وبعد أن تناولا طعام العشاء جلسا سوياً فى الصالون ، وأدارت نانسي أغنية لسميرة سعيد فانساب صوتها يشدو

" مش هتنازل عنك أبداً مهما يكون "

- فاكر يا علاء الأغنية دى ؟
- طبعاً فاكر .... إنتي كنتي بتحبي دايماً تسمعي سميرة سعيد لما كنا فى اسكندرية.
- بقيت بحب أسمعها وبعيشها بنفس إحساس زمان من ساعة ما رجعتلي تانى.

ولما إنتهت الأغنية عاد صوت سميرة سعيد ينساب مرة أخرى من خلال أغنيتها :

" **حلو حبك** " فأخذت نانسي ترددها معها بصوت أنثوي عذب **ثم أردفت قائلة :**

- عارف يا علاء الأغنية دى بتوصف حالي معاك دلوقت ،علاء أنا بحبك أوي .... نفسي تفضل معايا لحد آخر يوم فى عمري .....

ويقطع حديثها صوت الخادمة هنادي :

* ستي فى ضابط عايز علاء بيه.

نظر كل منهما للآخر بدهشة ثم قال علاء :

– ياترى مين ؟ خليه يتفضل.

دخل الضابط برفقة الخادمة هنادي وما أن رآه علاء حتى عقد حاجبه دهشة **قائلا** :

- حسن.

مد حسن يده مصافحاً علاء :

■ ازيك يا علاء ..... كنت متأكد إني هلاقيك هنا.

ويقدم علاء كلاً من نانسي وحسن للآخر :

- الرائد حسن شعبان معاون المباحث وصديقي، مدام نانسي الكاشف.

نظر حسن إلى نانسي قائلاً :

■ اتقبالنا قبل كده ليلة ما اتقتل مروان.

تفرست نانسى فى وجهه قائلة :

- صحيح ... تشرفنا يا حسن بيه.

■ الشرف لينا يا هانم.

وتستأذن نانسي فى الخروج :

- طب بعد اذنكم أنا.

ويشير إليها حسن :

■ أرجوكي خليكي قاعدة.

- خير يا حسن أكيد الزيارة دي وراها حاجة.

■ مش عارف أقول لك إيه ....

- متتكلم دوغري يا حسن وقعت قلبي فى حاجة حصلت ؟

سكت حسن برهة ثم قال بعد تردد :

■ شقتك اتحرقت .....

انتفض علاء واقفاً وقال بجزع :

- الشقة اتحرقت .... وفريدة والبنت جرى لهم حاجة ؟

■ شد حيلك يا علاء ..... البقية فى حياتك.

نزل الخبر على علاء كالصاعقة **فصرخ قائلاً وقد اغرورقت عيناه :**

- مش معقول ..... ماتوا.

فاحتضنه حسن وقال مواسياً :

■ حاول تتماسك يا علاء ده قضاء ربنا.

انفعلت نانسي مما سمعت ورأت، فسالت دموعها رغماً عنها ، **فربتت على كتف علاء مواسية :**

- البقية فى حياتك يا علاء .... شد حيلك.
- أنا لازم أروح الشقة دلوقت.

غادرعلاء المكان مسرعاً فلحق به حسن قائلاً :

■ استنى أنا جي معاك ..... علشان كده أنا جيت لك بنفسي ومرضيتش أبلغك الخبر بالتليفون .... سيب عربيتك هنا وتعال معايا مش هينفع تسوق وإنت في الحالة دي.

- اللى تشوفه.

وما إن ركبا السيارة حتى بادر علاء حسن متسائلاً :

- وإمتى حصل ده ؟

■ من حوالى ساعتين السكان بلغوا عن انفجارحصل فى شقتك .... وعقبال ما وصلت المطافي والإسعاف كان قضاء ربنا نفذ .... احمد ربنا إنك مكنتش موجود فى الشقة ، إنت اتكتبلك عمر جديد .... على فكرة مش شقتك بس اللى اتحرقت ، الشقة اللي فوقك منك هى كمان طالتها النار بس كانت مقفولة وسكانها مسافرين .

دفن علاء رأسه بين كفيه قائلاً وهو يجهش بالبكاء :

- يا ريتنى كنت معاهم، يمكن مكنش حصل اللي حصل.

■ استغفر ربنا ده كله مكتوب .... لكل أجلٍ كتاب ومحدش بيموت ناقص عمر.

- أستغفرالله العظيم.

وصل علاء وحسن إلى مكان الحادث وكان الليل قد انتصف وانفض تجمع المارة، شاهد علاء شقته وقد أتت عليها النيران بالكامل وتحول كل شئ إلى رماد فانهمرت دموعه ، **وقال بصوت غلب عليه حزنه :**

- مش معقول اللى حصل ده ، دي الشقة كلها إتدمرت بالكامل .... كل شيء اتحول لرماد .... أنا المسئول مكنش لازم أسيبهم يرجعوا لوحدهم.

يربت حسن على كتفه مواسياً :

■ وبعدين معاك ..... متوحد الله ، ده قدر ومكتوب وحتى لو كنت موجود مكنتش هتقدر تمد فى عمرهم ثانية واحدة.

- لا إله إلا الله .... وهم فين دلوقت ؟

■ الاسعاف أخذتهم على المشرحة.

ثم يوجه سؤاله إلى حسن :

- وإيه سبب الحريقة ؟

■ المعاينة المبدئية بتقول إن الحريق سببه انفجار أنبوبة البوتجاز، لكن زى ما إنت عارف الكلمة الأخيرة هتكون لتقرير المعمل الجنائي.

- يلا بينا على المشرحة.

استقل الأثنان السيارة ، وفى الطريق سأل حسن علاء :

■ وإنت هتقعد فين بعد كده ؟

- هأقعد مع أمي ..... إنت عارف إنها قاعدة لوحدها من ساعة بابا متوفى ، وأختي اتجوزت وسافرت مع جوزها أمريكا .

■ كان الله فى عونك يا صاحبى

وصل علاء المشرحة وشاهد جثة زوجته وإبنته وقد قضت النار على ملامحمها ، فلم يزده ذلك إلا حزناً وهماً . وبات ليلته تلك عند والدته حزيناً منكسراً لفقدانه زوجته وإبنته ، وإتهم نفسه بالتقصير وأنه المسئول عن وفاتهما ، وانقطع عن الذهاب لنانسي طيلة الأيام اللاحقة.

(١١)

مرت الأيام التالية للحادث على نانسى كأنها قرون، فهى لم ترى علاء منذ شاهدته فى مراسم العزاء، وقد عجزت عن الاتصال به للاطمئنان عليه ، فكلما حاولت الاتصال به كان يأتيها الرد بأن التليفون مغلق . فهداها تفكيرها لتسأل عنه حارسها خيري الذى أخبرها بأنه يعيش الآن مع والدته ، فقررت على الفور اصطحابه للذهاب معها لزيارته.

- مش دى شقة الأستاذ علاء مكاوي.
- أيوة يا بنتي.
- هو موجود.
- أيوه موجود .... نقوله مين ؟
- نانسي.
- اتفضلي يا بنتي .... وتجلسها فى الصالون.

ذهبت والدة علاء إلى حجرة إبنها لإخباره بمجيء نانسي.

- علاء فيه واحدة بتسأل عليك بره بتقول إن إسمها نانسي.

بدت الدهشة على وجه علاء فقال بصوت خفيض :

- نانسي .... وإزاي عرفت عنواني هنا ، وإزاي جت لوحدها ؟
- بتقول حاجة يا بني.
- لا يا أمي .... أنا طالع لها.

رأت نانسى علاء وقد كسا الحزن ملامحه ، فقد ذبل وجهه ونبت شعر ذقنه ، فانفطر قلبها لرؤية حبيبها وهو على تلك الحال ، **فمدت يدها لتسلم عليه :**

- ازيك يا علاء ..... طمني عليك، عامل إيه دلوقت ؟
- الحمد لله ..... لكن إنتي إزاي عرفتي تيجي هنا ؟ وإزاي تيجي لوحدك وإنتي عارفة إنك فى خطر.

وفى تلك اللحظة تدخل والدة علاء وتسأل نانسي :

- تشربي إيه يا بنتي شاي ولا أعمل لك قهوة ؟
- ميرسى يا طنط ولا حاجة ....

ثم حدثت نفسها قائلة : " يا خبر.... ازاى ما ختش بالى إنها لابسه أسود ، كان لازم أعزيها ساعة ما شفتها " **فأردفت قائلة :**

- أنا متأسفة أوي .... البقية فى حياتك يا طنط.
- حياتك البقية يا بنتي .... طب بعد إذنك أروح أشوف اللي على النار.

وما إن غادرت الأم حتى بادرت نانسي علاء بقولها :

- أنا كنت هتجنن عليك ..... بقالى خمس أيام بحاول أكلمك وإنت قافل التليفون ومش عارفة ألاقيك إزاي ....

أجابها علاء بجفاء :

- وبعدين.
- سألت عليك خيري .....
- خيري الراجل بتاعنا اللي أنا عينته لحراستك ؟
- بالضبط هو ... جابلي العنوان و.....

قاطعها علاء بانفعال :

- وسابك تيجي هنا لوحدك .... ده أنا .....
- متخفش هو قاعد مستنيني تحت فى العربية ..... علاء لازم تكون أقوى من كده.... استسلامك للحزن بالشكل ده ممكن يقضي عليك.

انسالت دموعه وهو يقول :

- كل شيء راح يا نانسي .... بنتي ومراتي راحوا مني في غمضة عين ، اختفوا من حياتى ومعدتش هشوفهم تاني ..... أنا المسئول عن موتهم.
- علاء متحملش نفسك فوق طاقتها .... ده قضاء وقدر.
- لا يا نانسي مش قضاء وقدر ..... تقرير المعمل الجنائى أثبت إن الحريق تم بفعل فاعل ،عارفة ده معناه إيه ؟

كست الدهشة وجه نانسى فقالت متسائلة :

- معناه إيه ؟
- معناه إن أنا اللى كنت المقصود.
- مش معقول ..... ومين اللى من مصلحته يعمل كده ؟
- مش عارف ... بس مسيري هعرفه.
- علاء أنا عارفة إن اللي حصل لمراتك وبنتك ده شيء فظيع ، وصعب أي حد يتحمله بس ده قضاء ربنا ولازم تصبر، أنا عارفة إنك قوي وهتعدي من الأزمة دي ..... وياريت ترجع لشغلك تانى.
- إن شاء الله.

ثم تنهض قائمة :

- أنا لازم أمشي دلوقت ....

وتمد يدها مصافحه إياه :

- مع السلامة يا علاء .
- مع السلامة يا نانسي .

(١٢)

مر أسبوع على زيارة نانسى لعلاء وكانا خلال تلك الفترة يتبادلان الاتصال تليفونياً، وفى نهاية الأسبوع ذهب علاء لزيارة نانسي بفيلتها.

- إزيك يا نانسي.

ردت عليه وقد علت وجهها إبتسامة مشرقة زانت وجهها حسناً :

- حمد لله على السلامة يا أغلى الناس .... أنا مبسوطة إنك قدرت تتغلب على أحزانك، وترجع زي ما كنت .... إنت مش عارف أنا كنت هتجنن عليك إزاي لما جيت لك الأسبوع اللى فات بيت والدتك وشوفتك ، بصراحة كنت خايفة عليك أحسن يحصللك حاجة ..... إنت مشفتش نفسك كنت عامل إزاي ، مستسلم للحزن ووشك دبلان ودقنك طويلة.
- اللى حصل مكنش سهل عليا.
- صدقني والله يا علاء أنا زعلت على مراتك وبنتك زيك بالظبط، لكن كل ما أتخيل إنك كنت ممكن تموت معاهم أبقى هتجنن.
- الحمد لله على كل حال.
- هو لسه البوليس مقدرش يوصل للفاعل ؟
- أنا كنت مع حسن إمبارح وقال إن فيه خيط مشيين وراه هيوصلهم للفاعل .... ثم يضرب بقبضته ذراع المقعد الذي يجلس عليه **قائلاً بحنق :**
- ياما نفسي أعرفه ويقع في إيدي قبل البوليس.
- إن شاء الله هيتقبض عليه ...

ثم تدير دفة الحديث قائلة :

- علاء إيه رأيك نخرج نروح أي حتة.
- ياريت ...
- عشر دقايق وهتلاقيني جاهزة.

خرج علاء برفقة نانسى وتجولا بسيارتها فى شوارع الجيزة ثم توقفا أمام أحد المطاعم .

- وقفتي ليه ؟
- أنا عازماك على العشاء .... المطعم ده أحسن مطعم بيعمل سمك وجمبري.
- خلاص يا ستي قبلت عزومتك نتعشى سمك وجمبري ، بس أنا اللى هدفع الحساب.
- يا حبيبي بقول لك أنا اللي عازماك.

رد عليها بخشونة ووجه عابس :

- نانسي.
- خلاص يا سيدي متكشرش ..... ادفع إنت الحساب .... أنا عارفة إن فيك عرق صعيدي ودماغك ناشفة.

وأثناء تناولهما الطعام لاحظ علاء شرود نانسي وتركيز بصرها على رجل وإمراة يدخلان المطعم ، ثم تغيير وجهها فجأءة وظهرت عليها أمارات الخوف .

- مالك يا نانسى فيه حاجة ؟

فقالت بصوت خفيض وقد غطت وجهها بكفها :

- إنت شايف الرجل اللى لابس تشيرت لبنى وبنطلون أسود اللي دخل دلوقت ومعاه واحده ست.

أختلس علاء نظرة سريعة على الرجل والمرأة ثم رد عليها بصوت خفيض قائلاً :

- أيوه شايفه.
- هو ده القاتل.

توقف علاء عن تناول الطعام وكست الجدية وجهه فقال بصرامة :

- إنتي متأكدة.
- مليون فى المية.

وفى تلك الأثناء شاهدها الرجل وهي تنظر إليه ، فارتبك قائلاً بحنق :

■ الله يخربيتك إنتي إيه اللي جابك هنا دلوقت.

* بتقول حاجة يا ذكي.

قام ذكي من على كرسيه فى عجلة قائلاً بانفعال :

■ لا مفيش حاجة .... يلا بينا من هنا.

* إيه مش هنتعشى ؟

■ عشاء إيه دلوقت ..... يلا بينا بسرعة من هنا.

ثم أخرج من حافظة نقوده بعض الأوراق المالية ووضعها على المنضدة ، ثم أمسك بذراع المرأة وإتجه مسرعاً نحو الباب .

* أنا مش فاهمة حاجة.

■ بعدين ..... بعدين ابقى أفهمك كل حاجة.

قام علاء من مقعده مسرعاً :

- ده عايز يهرب .....

تركت نانسي هي الأخرى مقعدها وأخذت حقيبة يدها قائلة :

● إنت رايح فين استنى أنا جاية معاك.

استطاع علاء بقوامه الرياضى وبنيانه القوي الإمساك بالرجل وهو على بعد خطوة واحدة من سيارته التى كان يستعد لاستقلالها للفرار هو ورفيقته ، فقال له علاء وهو يلوي ذراعه بقوة خلف ظهره.

- أنت رايح فين ؟

■ سيبني يا أستاذ .... ميصحش كده.

- أسيبك دا أنا صدقت ما لقيتك ....

* إيه الحكاية يا ذكي أنا مش فاهمة حاجة ؟

تجمع المارة وارتفعت الأصوات :

* هو فيه إيه ؟ فى إيه يا أستاذ ؟

- الراجل ده مطلوب القبض عليه .....

* نتصل بالبوليس يجى ياخده ....

- لا مديرية الأمن قريبة ..... أنا هطلع بيه على المديرية ..... حد يناولني حبل علشان أكتفه.

ويتطوع أحدهم :

* أنا فاكر معايا حبل فى شنطة العربية ..... هجيبه لك حالاً يا أستاذ.

- ناولنى إيدك
- على فكرة اللي بتعمله ده مش قانوني وهتتحاسب عليه.
- لما نروح المديرية هنشوف إذا كان قانوني ولا لا.

وبعد أن قام بتوثيق يديه قال لنانسي :

- سوقي إنتي وأنا وهو هنركب وراء .

قاد علاء ذكي لمديرية أمن الجيزة وهناك تم تحريرالمحضراللازم ، وبات ذكي ليلته بزنزانة المديرية لحين عرضه على النيابة .

(١٣)

وفي اليوم التالي وأمام النيابة تمت مواجهة نانسي بالقاتل :

■ مدام نانسي هو ده نفس الشخص اللي شفتيه بيقتل الصحفي مروان مساء يوم الأحد الموافق ٦/٢٨.

• أيوة هو.

■ إنتي متأكدة.

• طبعاً متأكدة.

■ اكتب ..... وبمواجهة الشاهدة بالمتهم ذكي سعد عبدالعال الشهير بذكي النمر أقرت بأنه هو من قام بقتل الصحفي مروان أحمد ناجي.

وشهدت التحقيقات بعد ذلك حقائق مثيرة .

■ علاء ... إنت تعرف الأسورة دي ؟

تناول علاء من وكيل النيابة الأسورة وأخذ يقلبها بين يديه ، ثم عقب قائلا :

- فريدة كان عندها وحدها زيها كنت جيبتهالها فى عيد جوازنا السنة اللى فاتت .... هى إيه الحكاية ؟

■ الحكاية إن لما حصل الحريق فى الشقة عندك ، وضعنا احتمال أن يكون هناك شبهة جنائية وراء الحادث ، وإنه مش قضاء وقدر نتج عن تسرب غاز، فكان لازم نلاقي خيط نمشي وراه .... والخيط ده كان أمل الشغالة .....

عقد علاء حاجبيه دهشه :

- أمل الشغالة ..... أفتكر كانت بتيجي لفريدة مرة كل شهر تنظف لها الشقة.

■ بالضبط .... لما سألنا البواب فيه حد اتردد على الشقة يوم الحادث قال لا، لكنه قال أنه سعات بيقضي طلبات للسكان فممكن يكون حد طلع ونزل وهو مكنش موجود، لكن البقال اللى تحت البيت قال أنه شاف أمل الشغالة نازلة من العمارة وفى إيديها شنطة سودة، فعملنا تحرياتنا وعرفنا إنها كانت عندكم قبل الحادثة بيوم وإنها مبتجيش لحد فى العمارة غير لمدام فريدة الله يرحمها فابتدينا نراقبها، ومن يومين قبضنا عليها وهى بتحاول تبيع الأسورة دي، ولما حققنا معاها قالت إن الأسورة تخص مدام فريدة ، وأنها غفلت مدام فريدة وطبعت نسخة من مفتاح الشقة على صلصال، وإنها يوم الخميس اللي قبل الحادثة سمعتها بتكلم والدتها و بتقولها هجيب شروق ونقضي اليوم عندك، فجت تانى يوم وقت صلاة الجمعة وهي عارفة إن صالح البواب بيصلي، وطلعت الشقة وسرقت الذهب والفلوس وفتحت غاز البوتجاز وفصلت الكهرباء ونزلت، ولما جت مدام فريدة ومعاها شروق وفتحت الشقة، لقت الكهرباء مقطوعة فولعت بالولاعة الشمعدان اللى لقيناه جنب جثتها فحصل الحريق واتوفوا فى الحال.

دهش علاء مما سمع فعلق قائلاً :

- مش معقول اللي حصل ده .... ده زي ما يكون فيلم سينمائي .... يعني هى عملت كده علشان تسرق ؟

■ مش بالضبط.

- مش فاهم.

■ الصدفة لعبت دور كبير فى القضية دي ... إنت عارف أمل الشغالة طلعت مين ؟

- إيه الألغاز دي .... طلعت مين ؟

■ أمل تبقى بنت عم ذكي النمر اللي إنت قبضت عليه إمبارح.

- بنت عم ذكى النمر ..... مش معقول.

■ لما عرف إنك ضابط شرطة سابق ، بالإضافة إنك المسئول عن حماية نانسي الشاهدة الوحيدة اللى شافته وإنك واخد الموضوع بشكل شخصي وبتحاول بمساعدة البوليس في القبض عليه، قررأنه يتخلص منك فاتفق معاها إنها تحرق الشقة بحيث تبان الحادثة كأنها قضاء وقدر.....

أطرق علاء برأسه قائلاً :

- طبعاً بأوامر من الراجل الكبير.

■ بالظبط ... لأن الراجل الكبير حس إنك بتشك فيه وإنك ابتديت تجمع تحريات عنه بمساعدة أصدقاءك فى الإدارة.... لكن وجودك عند نانسي لحد وقت متأخر كان سبب فى نجاتك .... فأصدرنا أمر بالقبض على ذكي لكن إنت سبقتنا وقبضت عليه، ولما حققنا مع ذكي وعرفنا أنه كان مجرد أداة، أصدرنا أمر بالقبض على الراجل الكبير.

(١٤)

ذهب علاء لمنزل نانسي لاطلاعها على ما تم فى التحقيقات وما شهدته من مفاجآت.

- تعرفى من طلع وراء قتل مروان ناجي.

هزت نانسى رأسها بالنفى :

- لا .
- مراد الهواري رجل الأعمال المعروف.

عقدت نانسى حاجبيها دهشة ، ثم قالت متلهفة لسماع المزيد :

- مش معقول .... طب إزاي ؟
- وهو برضه اللي كان وراء موت فريدة وشروق.
- أنا مش مصدقة اللي بتقوله ... معقول ده.
- شوفى يا ستى .... مروان كان بيعمل تحقيقات صحفية عن فساد بعض رجال الأعمال ، وكان بينشرها فى مقالات أسبوعية، وآخر مقال له ألمح إن معاه مستندات مهمة حصل عليها هتكشف فساد أحد رجال الأعمال وتورطه مع مسئولين كبار فى الإستيلاء على أراضى للدولة بالساحل الشمالي، بالإضافة لمعلومات حصل عليها تُثبت إن رجل الأعمال ده جمع ثروته الطائلة من تهريب الذهب وتجارة العملة، مراد عرف إنه هو المقصود فعرض على مروان مبلغ كبير فى نظير إنه مينشرش مقالته ويديه المستندات اللي عنده.

وتقاطعه نانسى قائلة :

- وطبعا مروان رفض.
- فعلا مروان رفض فاضطر مراد لاستعمال التهديد للحصول على المستندات ، وانتهى الأمر بقتل مروان على إيد ذكي النمر اللى هو واحد من رجالة مراد بالطريقة اللى إنتي شوفتيها يوم الحادث.
- طب وازى كان وراء موت مراتك وبنتك ؟
- لما عرف إن أنا ابتديت أشك فيه وبدأت فى جمع تحريات عنه بمساعدة زملائي في الدخلية ، قرر يتخلص مني.... لكن وجودي عندك وقت الحادثة كان سبب فى نجاتي من الحريق .

رفعت نانسى كفيها للسماء وهى تبتسم :

- الحمد لله إن ربنا جعلني سبب فى نجاتك يا حبيبي .....

ثم أردفت قائلة :

- بس هو إزاي عرف إنك بتجمع تحريات عنه ؟
- مع الأسف كان له عين جوه الإدارة بتبلغه .... لكن الحمد لله اتقبض عليه.
- وأنت ناوى تعمل إيه بعد كده ؟

مررعلاء أنامله على جبهته عدة مرات قائلاً :

- بصراحة يا نانسي مش عارف بالضبط هعمل إيه ..... أنا حاسس إني متلخبط.

- علاء أنا أكتر واحدة حاسة بيك .... وعارفة أد إيه إنت زعلان على موت مراتك وبنتك .... لكن الحياة لازم تستمر برغم موت اللي بنحبهم ، الحزن دايماً بيبدأ كبير وبعد كده بيقل شوية بشوية .... أنا مش بقول لك انساهم ، لكن لازم تهتم بنفسك وبشغلك.

أوماء علاء برأسه قائلاً :

- عندك حق.

فطوقت يديه بكفيها الرقيقتين قائلة :

- تأكد إنى هفضل جنبك لحد متعدي الأزمة دي وعمري ما هتخلى عنك أبداً.

فطبع على كفها قبلة حانية قائلاً :

- أنا متاكد من مشاعرك يا نانسي .... ومش عارف كنت هعمل إيه لو مكنتيش جنبي فى الظروف دي .... فعلاً الواحد لازم يتخطى أحزانه ويبدأ من جديد علشان الحياة تستمر، بس ده مش هيحصل في يوم وليلة.
- أكيد .....علشان كده مش إنت بس اللى محتاج تبدأ من جديد ، أنا كمان محتاجة أعيد حساباتي وأبدأ من جديد .

تمت...

ملك من التاريخ

(١)

وقف سيد كبير السعاة بكلية الحقوق يحتسى كوباً من الشاى وهو يتجاذب الحديث مع سعد عامل البوفية الجديد ، ثم نظر فى ساعته قائلاً لسعد : زمان الدكتور بلال دلوقت طالع فى الأسانسير.... لم يكد سيد يتم عبارته حتى فُتح باب المصعد وخرج منه الدكتور بلال حاملا حقيبته . وما إن رآه سيد حتى ترك كوب الشاى الذى بيده وهرول مسرعاً نحوه حاملاً عنه حقيبته .

د. بلال : صباح الخير يا سيد.

سيد : صباح الخير يا دكتور بلال.

د. بلال : الميكروفون اتصلح ولا لسه ؟

سيد : اتصلح يا دكتور.

د. بلال : طيب أقفل الباب من فضلك يا سيد.

سيد : حاضر يا دكتور.

وما أن أغلق سيد الباب حتى تلقفه سعد متسائلاً : مش هو ده الدكتور بلال يا عم سيد اللى كنت لسه بتكلمنى عنه.

سيد : أيوه يا سعد .... هو ده الدكتور بلال أبو الحسن أستاذ ورئيس قسم فلسفة القانون وتاريخه.

سعد : بس باين عليه شخصية قوية وعنده هيبه

سيد : ده صحيح ..... الدكتور بلال عمره ما أتاخر عن محاضرته دقيقة واحدة ، علشان كده ما بيحبش أى طالب يدخل المدرج

بعد ما هو يدخل ..... لكن عايز الصـــراحة برغم حزمه وانضـــباطه إلا أنه طيب وكل الطلبة بتحبه ..... أنت لســـه ما عرفتوش علشان أنت لسه جديد هنا لكن لما تعرفه حتحبه أوي.

سعد : باين عليك بتحبه أوى يا عم سيد

سيد : ده حقيقى يا سعد يا بنى .... لوعرفت الدكتور بلال زى ما أنا عرفته مكنتش تستغرب ....

ثم يتنهد قائلاً : هيه دى عشره ٣٠ سنة .....

ويقطع حديثه صـــوت خطوات مســـرعة لطالب جاء مهرولاً **فقال وهويلتقط أنفاسه بصعوبة :** هو الدكتور .... الدكتور بلال جه

سيد : لسه داخل من خمس دقايق

ظهر الحزن على وجه الطالب فقال بأســـى : يا خســـارة كان نفســـى أحضر محاضرته

ســـيد : كان لازم تيجى بدرى .... أنت عارف إن الدكتور بلال مانع أى طالب يدخل المحاضـــرة بعد ما يدخل ، وده نظامه من ٣٠ ســـنة وأكتر .

الطالب : غصب عنى ..... المواصلات انهاردة كانت وحشه أوي.

سيد : خلاص أنقل المحاضرة من زمايلك.

الطالب : ما ينفعش ..... مفيش حد بيشـــرح زى دكتور بلال ..... يا خسارة . وانصرف حزيناً

(٢)

وفى قاعة المحاضرات بدأ الدكتور بلال محاضرته فقال وهو ممسكاً بالميكروفون : انهاردة حنتكلم عن أهم التشريعات الشرقية القديمة اللى كان أثر كبير فى العالم القديم ..... وهو تشريع الملك بكوخوريس اللى صدر فيما بين عامى ٧٤٠ ق.م – ٧٢٠ ق.م ، واللى بينتمى للأسرة ٢٤ ..... واللى أشاد بتشريعه الكثير من المؤرخين أمثال هيرودت وديودور الصقلى ..... والبطالمة اللى حكموا مصر بعد فتح الاسكندر الأكبر اتخذوه أساسا لسياستهم التشريعية فى مصر وكانوا يطلقون عليه قانون العقود ..... وبكوخوريس ظهر فى وقت كانت بتسود مصر فيه الفوضى والإنهيار على كافة الأصعدة سياسية وإجتماعية واقتصادية ، وكان النظام الإقطاعى هو السائد فى البلاد ، وكان النفوذ الأكبر فى البلاد من نصيب الكهنة .....

وتوقف عن الكلام برهة وهو ينزع نظارته الطبية ، **ثم قال بتأثر واضح :**

– لكن اسوأ ما كان فى هذا العصر هو اهدار كرامة الإنسان ..... حتسألونى أزاى ؟ حأقول لكم أزاى ..... فى منتصف القرن الثامن قبل الميلاد وبعد وفاة الملك تفنخت .....

(٣)

فى أحدى القرى بدلتا مصر أواسط القرن الثامن قبل الميلاد :

يجلس رانى الفلاح المصـــرى الفقيرعلى حافة قناة المياه المتفرعه من نهر النيل ، يدير طنبوره ليروى زرعه وهو يغنى للنيل . ويقطع غناؤه صوت رجل جاء من خلفه قائلاً : يبدو أنك سعيداً اليوم يا رانى

التفت رانى لمصـدر الصـوت ، وما أن وقع بصـره على الرجل الذى يحدثه حتى عبس وجهه

فقال بفتور : أهذا أنت يا بازو

بازو : نعم بازو يا عزيزى رانى .... فلقد حان اليوم موعد سداد دينك لى .....فهل المال بحوزتك ؟

رانى : مع الأسف لم أستطع تدبير مالك يا بازو..... فالأرض لم تخرج هذا العام ما كانت تخرجه فى الأعوام السابقة من غلال

ثم يعقب مستعطفاً بازو : أرجوك أن تمهلنى حتى موسم الحصاد القادم لأدبر لك مالك

مسـح بازو بأنامله على جبينه قبل أن يقول : موسـم الحصـاد القادم ..... لا بأس ، لكن هكذا ستزيد الفائدة بمقدارالربع

أشاح رانى بيده مستنكراً : كيف هذا ؟ أشكو لك من سوء حالى وأنت تزيد الفائدة بمقدار الربع

ثم خفض من نبرة صوته فقال متوسلاً : أسالك بحق الآلهة يا بازو أن تعفينى من هذا الحمل الثقيل وأن تأخذ المال مع فائدة بسيطة ..... فهذا الدين أصبح يثقل كاهلى .....

فكلما قاربت من تدبير مالك ، وحل موعد السـداد تزيده أنت بفائدة جديدة ..... حتى أصبح الدين ضعف ما أقترضته منك .....

بازو بلامبالاة : لا استطيع يا عزيزى فأنت تعلم أنى مرابى ، والمرابى يتكسب من فائدة ماله .....

رانى ساخطاً : لكن هذه الفائدة كثيرة جداً

بازو : كان هذا شـرطى وقد وافقت عليه عندما أخذت المال ، وقمت بتوقيع صك الدين على ذلك

رانى بحسرة : وهذه كانت غلطتى الكبرى

بازو : حسـنا يا رانى ، سـأمهلك حتى موعد الحصـاد القادم ..... لكن مع إضافة الفائدة الجديدة ..... وإن لم تسدد لى دينى فى الميعاد المحدد سأقوم بالحجز على بيتك وحمارك وأغنامك

رانى غاضباً : هذا ظلم

بازو : أى ظلم يا رجل والعقد شريعة المتعاقدين

رانى : ولكنك تستغل حاجة الناس لتزداد أموالك

حدج بازو رانى بنظرة نارية قائلاً بحدة : هذا ليس من شـأنك ..... عموما هذه أخر مهلة لك ، وفى موعد الحصـاد القادم تجهز لى مالى بالفائدة وإلا سأحجز على ممتلكاتك ..... والأن وقع على هذا الصك

رانى متأففاً : وهاك توقيعى ولترحمنى الآلهة

بازو : حسنا ..... أراك بخير يارانى .... سلام يا عزيزى

وما إن أبتعد بازو بضع خطوات حتى قال رانى بحنق وصوت خفيض لم يسمعه بازو : لا أرتك الآلهة خيراً قط أيها المرابى الجشع ..... أذهب إلى الجحيم ،لا سلمتك الآلهة ..... عليك لعنة نايت وايزيس وكل آلهة المصريين ...

فؤجى رانى بيد تربت على كتفه وصوت من خلفه يقول : على من تدعو يا رانى ؟

التفت رانى لمصدرالصوت وتنهد ارتياحاً عندما شاهد محدثه فقال له : أهذا أنت يا ميدى

ميدى متسائلاً : لم تقل لى على من كنت تدعو ؟..... وما لى أراك مهموماً هكذا ، كأنك تحمل هموم الدنيا فوق كتفيك .

رانى بضيق : أدعو على هذا المرابى الحقير المسمى بازو .

ميدى : ولما ؟

رانى : هددنى إن لم يحصل على ماله الذى اقترضته منه منذ ثلاثة أعوام بالفائدة الجديدة..... سيأخذ منى دارى التى تأوينى أنا وأولادى .

ميدى : مسكين أنت يا رانى ..... لا أدرى ماذا حل بهذه البلاد ، فجارنا أسابير أصبح مملوكا لكارس بعد أن عجز عن سداد دينه ..... وأول أمس هجم اللصوص على القرية المجاورة ونهبوها واختطفوا الجميلة تادو أبنة صديقنا رنزى وعندما حاول تخليصها منهم أوسعوه ضربا حتى فقد الوعى .....

رانى بدهشـة : تادو أبنة رنزى أنها لم تكمل الرابعة عشـر بعد ..... اختطفوها .....

ثم أســـتطرد غاضـــباً : وماذا يبقى لنا بعد ذلك .... تنتهك حرماتنا وتختطف نســـاؤنا وبناتنا .... أما آن لهذا الظلم أن ينتهى ولهذا الظلام أن ينقشع ؟

ميدى : يبدو أن هناك بارقة أمل

رانى متسائلاً بلهفة : بارقة أمل ..... كيف ؟

ميدى : قبل أن أتى إليك كنت مع زوج أختى الذى حضر من " سايس " ..... وأخبرنى أن الأمير بكوخوريس بـدأ بتكوين جيش ويســـعى لتوحيد البلاد تحت أمرته لينصب نفسه ملكاً على مصر .

رانى : بكوخوريس أبن ملكنا الراحل تفنخت ؟

ميدى : أجل هو

هز رانى رأســه قائلاً : وماذا سـيفعل أمام أمراء الأقاليم ، الذى يسـعى كل واحد منهم للإســتئثار بالحكم لنفســه دون الأخرين ..... والأدهى من ذلك ماذا عسـاه يفعل أمام الكهنة أصـحاب النفوذ والسـطوة والكلمة العليا فى البلاد .

ميدى : لا تقلق فهذا الأمير ليس كغيره من الأمراء ..... أنه شـــجاع وصاحب فطنة وذكاء ، فقد ولى قيادة جيشه لرجل من أشد المخلصين له ، رجل ذو بأس ودهاء يدعى " سيبو " .

تهلل وجه رانى فقال فرحاً : إذن فلتبارك الآلهة الأمير بكوخوريس وقائده سيبو إن كانا سيخلصانا مما نحن فيه

(٤)

القصـــر الملكى بالعاصـــمة ســـايس : يجلس الملك بكوخوريس على العرش ويتحدث إلى الوزير جابى الذى يقف بجواره ، ويقطع حديثهما صوت الحاجب : القائد سيبو يا مولاى

الملك بكوخوريس : أدخله على الفور

دخل القائد سيبو ثم أنحنى أمام الملك قائلاً : السلام على مولاى الملك المعظم بكوخوريس

بكوخوريس : مرحبا بالقائد المظفر سيبو

سيبو متهللاً : أبشر يا مولاى ..... فقد حققنا نصراً ساحقاً على أمراء مصـر العليا ، فقد كسـرنا شـوكتهم وهزمناهم شـرهزيمة ، وهكذا دانت مصر كلها لنا ..... ولقد جئت بأمرائهم أسرى بين يدى مولاى لينظر فى أمرهم .....

بكوخوريس فرحاً : حمد للآلهة على هذا النصر المبين

ثم عقب متســـائلاً : ولكن ماذا عن رامون أمير طيبة هل قتل ؟ أم تم أسره مع باقى الأمراء ؟

ظهر الارتباك على وجه ســيبو فقال بعد تردد : مع الأســف يا مولاى .... لقد فر رامون بعد أن أيقن بهزيمته .....

بكوخوريس غاضباً : فر ..... إلى أين ؟

سيبو : فر متخفياً فى أحد المراكب النيلية .....

بكوخوريس بحدة : إلى أين ؟

سيبو : إلى النوبة يا مولاى .....

هز بكوخوريس رأسه بأسى قائلاً : هذا ما كنت أخشاه

سيبو : ولم يا مولاى ؟

بكوخوريس : إلا تعرف العداء القديم بيننا وبين ملك النوبة منذ أيام أبى الراحل ..... وحتما سيعمل رامون على تأليب ملكهم " شاباكا " واقناعه بالزحف على مصر.....

سيبو : أرجو ألا يبالغ مولاى فى مخاوفه ..... فشاباكا مشغول الأن باخماد الثورة التى أشعلها أبن أخيه بين القبائل فى أرض كوش ..... وهذا قد يستغرق شهوراً ، وربما عاماً أو عامين ..... فلا يجعل مولاى قلقه من فرار رامون يفسد عليه فرحة النصر .

أشار بكوخوريس بيده إلى حيث يقف جابى قائلاً : مالى أرى وزيرنا جابى صامتاً

جابى : إن أذن لى مولاى

بكوخوريس : تكلم ما رأيك فيما سمعت ؟

جابى : القائد ســـيبو معه كل الحق يامولاى ، فالانتصـــار على أمراء مصـــر العليا لم يكن بالأمر الهين ..... فلا تجعل فرار رامون يعكر صفو جلالتك ويفسد عليك فرحتك بالنصر .

صـمت بكوخوريس ملياً ثم قال : نعم نعم .... معك حق ..... معك كل الحق أيها الوزير جابى

فلتُعد إذن للإحتفال بالنصر

جابى : لقد بدأت ذلك بالفعل يا مولاى ..... فلقد كنت على يقين من تحقيق النصـر..... فبعد غد سـيقوم كبير الكهنة " مرحتب " بتنصـيبكم ملكاً على مصــر بمعبد الإلهة العظيمة نايت ، وفى اليوم التالى ســيقام الاحتفال الكبير هنا فى القصر .

بكوخوريس : أحسنت يا جابى

(٥)

معبد الإلهة نايت :

يتسـلل فى جنح الظلام رجل يبدو من ملابسـه أنه أحد خدام القصـر ، وعندما وصـــل إلى الردهة الموصـــلة لحجرة كبير الكهنة أوقفه أحد حرس المعبد قائلا : قف عندك من أنت ؟ فقال الرجل بصوت خفيض: أنا شادو

تفرس الحارس فى وجهه ثم قال له : أهذا أنت يا شادو .... ماذا تريد فى هذه الساعة المتأخرة من الليل ؟

شادو : أخبر سيدى الكاهن الأعظم مرحتب أنى أريد مقابلته لأمرهام.

الحارس : حسنا أنتظر لحظة.

يطرق الحارس باب غرفة الكاهن الأكبر ويســتأذنه فى دخول شـــادو فيأذن له .

دخل شـــادو الغرفة فوجد الكاهن الأكبر منهمك بالعمل وأمامه بعض الزجاجات فأحنى رأسه قائلاً بخشوع : سيدى الكاهن الأعظم مرحتب.

الكاهن مرحتب : شادو ..... ماذا وراءك من أنباء ؟

شادو : الملك بكوخوريس يا سيدى .....

مرحتب : ما له ؟

شـــادو : أنه يســعى لإجراء اصــلاحات كبيرة فى البلاد وقد طلب من الوزير جابى إعداد تقرير مفصل عما يعانيه المصريون.

مرحتب : بكوخوريس شـــاب طموح ..... فلم يمضـــى على اعتلائه العرش سوى عدة أشهر ، وهاهو يعمل بكل جد ليثبت أنه جدير بعرش مصر .

شادو متردداً : ولكن سيدى الكاهن الأعظم .....

مرحتب : ولكن ماذا يا شادو تكلم ؟

أجاب شـادو بريق جاف : هناك أنباء تتردد فى القصـر بأنه سـيقلص نفوذ كهنة المعابد وسيصادر أوقاف المعابد لترد إلى الدولة .

استشـاط مرحتب غضـباً مما سـمعه فضـرب الزجاجة التى بيده بعنف على المنضـــدة ، فتناثرت أشـــلاءها على الأرض فقال بغضـــب : ماذا تقول ؟ يقلص نفوذنا ويصادر أوقاف المعابد .....

انخلع قلب شـــادو من الخوف وهو ينظر فى عينيى مرحتب اللتان أصـبحتا كأنهما جمرتان من نار فقال بصـوت مرتعش : هذا ..... هذا ما سمعته يتردد بالقصر يا سيدى

مرحتب ثائراً : هل جن هذا الملك الأحمق ليقدم على أمر كهذا ..... أنسى أننا نحن الكهنة الذين ساعدناه وقمنا بتنصيبه ملكاً على مصر.

شـادو وقد استعاد رباطة جأشـه : ربما قصـد بهذا الأمر كهنة المعابد الأخرى كأمون ورع وأيزيس ، وليس كهنة الإلهة العظيمة نايت التى يعبدها ويقدسها .....

كانت كلمات شـــادو بمثابة ماء بارد صـــب داخل قدر به ماء يغلى ، فأطرق مرحتب برأسـه **قائلاً وقد هدأت ثورته :** ربما ..... ربما ..... ساتأكد من صحة هذه الأنباء

شـادو متلعثماً : سيدى الكاهن الأعظم ..... أقسم أن ما أخبرتك به هو ما سمعته

مرحتب مطمئنا شـــادو : لا عليك ... والآن عد إلى القصـــر حتى لا يشعر بغيابك أحد وأطلعنى أول بأول على ما يجد من أخبار

شادو : أمرك .... أمرك سيدى الكاهن الأعظم.

(٦)

فى القصر الملكى :

يجلس الملك بكوخوريس على كرسى العرش وبيده صولجانه الذهبى يدخل الوزير جابى حاملاً بيده لفافة من ورق البردى فينحنى أمام الملك قائلاً : مولاى المعظم بكوخوريس

بكوخوريس : هل انتهيت من التقرير الذى طلبته منك يا جابى ؟

جابى : أجل يا مولاى

بكوخوريس : فلتقرأه على إذن

نشر جابى لفافة البردى التى بيده وأخذ يقرأ ما فيها : إن من أشد ما يعانيه المصريون هذه الأيام فوائد القروض ، فعندما يقوم الفلاح أو التاجر بالإقتراض من المرابى . فأنه يُلزمه بفائدة كبيرة وقت السداد ، وإذا تأخر المقترض عن السداد فى الموعد المحدد ، فإن المرابى يضاعف الفائدة لدرجة تُعجز المقترض ، فإذا حل الموعد الجديد ولم يسدد المدين دينه يقوم الدائن بالحجز على ممتلكاته وأحيانا يقوم بالحجز على المدين نفسه فيصبح عبداً للمرابى .....

ضرب بكوخوريس بطن كفه بالصولجان ، فقال مقاطعاً جابى وقد تملكه الغضب :– ما أشد ما اسمع .... يالجشع هؤلاء المرابين ..... وبعد

جابى : إن غالبية الشعب المصرى يعيش فى فقر مدقع ، ولا ينعم برغد العيش سوى الأمراء ونظرائهم من الإقطاعيين والكهنة . لاستحواذهم على غالبية الأراضى الخصبة بالبلاد ..... والكثير من

المدن والقرى فى حاجة لتمهيد الطرق وشـق الترع وإقامة الجسـور ، بعد أن أهملها حكامها وتفرغوا لملاء خزائنهم .

ثم قام جابى بطى التقرير المكتوب على ورق البردى

بكوخوريس : هل انتهيت من تقريرك؟

جابى : أجل يا مولاى

بكوخوريس : بالنسـبة للأمراء والأقطاعيون فسـننتزع منهم ما نهبوه من أموال وما أغتصـبوه من أراضـى وماشـية للفلاحين البسـطاء بعد حصر ممتلكاتهم وأجراء محاكمات عادلة لهم ..... أليس كذلك أيها الوزير ؟

أومأ جابى برأسه : أجل .... أجل ..... هو كذلك يا مولاى

بكوخوريس : ولكن أعجب كل العجب من أمرهؤلاء الكهنة الذين تركوا مهمتهم الأصـلية كرجال دين يجلهم الناس ، فأصـبح لا هم لهم سوى جمع المال والذهب .... ومن أجل تحقيق ذلك ساروا يضـحكون على العامة بأسـم الدين " ادفع لتنال بركة الآلهة "، حتى تكدسـت أموالهم وكثرت ضياعهم و سمنت أجسامهم ....

جابى : مع مولاى كل الحق ..... ولكن على الرغم من كل ما يعانيه المصريون من قسوة العيش فإن لديهم عزة وكبرياء ، كما إن صبرهم على الشـدائد يدعو للعجب يا مولاى ... فتجدهم يطلقون النكات التى تسخر من واقعهم الذى يعيشونه.

بكوخوريس : معك حق .... فالمصـريون هم أقدر شـعوب العالم على تحمل الأزمات والسخرية من واقعهم المرير **هب الملك واقفاً ثم أردف**

بحماس قائلاً : لكن وحق نايت لاعيدن الأمور إلى نصـــابها ولأخذن لهذا الشعب حقه ممن ظلمه ..... أيها الحاجب أحضر لى الحكيم سامى على الفور.

الحاجب : أمر مولاى

بكوخوريس : أتعرف يا جابى لما استدعيت الحكيم سامى

جابى : لا يا مولاى

بكوخوريس : سأقوم بإصدار تشريع جديد يهدف لإصلاح حال البلاد والنهوض بها ورفع الظلم عن كاهل الفقراء ... وســأســتعين بالحكيم ســـامى لأنه جال بالعديد من الدول المجاورة لمصـــر فتعرف على حضارتهم ونهل من علومهم .

جابى : أجل يا مولاى ..... فقد ذكر لى ذات مرة أنه زار الكثير من المدن كبابل وأشــور وفنيقيا وأورســالم .... وأنه مكث فى بعض هذه المدن لسنوات واختلط بشعوبها .

بكوخوريس : هذا صــحيح ..... لذلك ســأســتعين به لنعرف أى من تشــريعات هذه الدول يمكن أن نســتفيد منها لإصــدار قوانين تتناســب وظروف مجتمعنا ، بجانب تشريعاتنا القديمة بالطبع .

جابى : ونعم الرأى يا مولاى ... فأنى لا أرى من وراء ما ســتقوم به من تشريعات ، إلا حكمة آلهية اختصتك بها الإلهة العظيمة نايت

الحاجب : الحكيم سامى يا مولاى

بكوخوريس : فليدخل على الفور

(٧)

يقوم مجموعة من العمال بتثبيت مسلة متوسطة الحجم فى قلب العاصمة سايس وسط جمع من الناس .

والد خنوم : ما هذه المسلة التى يضعها البناءون وسط المدينة يا خنوم يا ولدى ؟

خنوم (صانع فخار): أنها تحوى القوانين الجديدة التى وضعها الملك بكوخوريس يا أبى

والد خنوم بدهشة : حقا .... وهل وضع للبلاد تشريعاً جديداً ؟

خنوم : أجل يا أبى .... إن الملك بكوخوريس قام بوضع قانون للبلاد صاغه له الحكيم سامى ..... وقد قاموا أمس بوضع القانون مكتوباً فى لوح عند معبد الإلهة نايت ..... كما أمر الملك بأن يكتب القانون على مسلات صغيرة توضع فى عدد من مدن مصر الكبرى ليطلع عليها العامة .

والد خنوم متعجباً : ومن أعلمك بكل هذا ؟

خنوم : أنسيت يا أبى أن والد صديقى سمنت يعمل كاتباً بالقصر

والد خنوم : أجل .... أجل ، ها هم قد انتهوا من وضع المسلة ..... تعالى لتقرأ لى ما أصدره الملك من قوانين .

خنوم : حسنا يا أبى .... هيا بنا .....

وقف خنوم أمام المسلة يقرأ لأبيه تشريع الملك :

– بأمرى أنا الملك بكوخوريس ملك مصر أصدرنا القانون الأتى ،على أن يكون مُلزماً لجميع طوائف الشـــعب المصـــرى حال صـــدوره : **أولا: إلغاء الاسـترقاق بسـبب الدين .** فالمدين يكون مسـئولاً عن دينه فى ماله فقط لا فى شـــخصـــه ، وترتيباً على ذلك فذمة المدين هى الضامنة للوفاء بديونه لا جمسه .

ثانياً : تنظيم ســعر الفائدة . تحدد ســعر الفائدة بثلاثة أعشــار القيمة الأســاســية كحد أقصــى بالنســبة للنقود ، والثلث بالنســبة للحاصــلات الزراعية ، وتحريم تقاضـــى فوائد على متجمد الفؤائد ، وعدم زيادة الفؤائد عن أصل الدين .

ثالثاً : تأكيد الحرية الفردية . للفرد التصـرف بحرية فيما يملك وله أن يبرم ما يشاء من العقود فى حدود القانون .

رابعاً : تنظيم المركز القانونى للمرأة . تتمتع المرأة بالشـــخصـــية القانونية الكاملة وتساوى بالرجل فى الميراث والملكية وابرام العقود .

ومـا إن انتهى خنوم من قراءة القـانون المكتوب حتى هتف فرحـاً : فلتبارك الإلهة نايت أيها الملك بكوخوريس ، فلقد كانت البلاد فى أمس الحاجة لهذا التشريع الجديد .

والد خنوم : معك حق يا ولدى .... ولكنى لا أوافقه على ما أعطى للمرأة من حقوق ، فأنا أرى أنه أعطاها أكثر مما تستحق .

خنوم معترضـاً : أنا لا أوافقك الرأى يا أبى ، فالمرأة فى هذا العصـر أصـبحت مهدره الحقوق ليس لها نصـيب فى ميراث إذا مات أبوها ، وليس لها رأى يعتد به ..... حتى أصـبحت تعامل كالإماء ،على الرغم أن مصـر حكمها نسـاء عظيمات سـواء حكمن منفردات كحتشـبسـوت ، أو بجانب أزواجهن الفراعنة كالملكة تى ونفرتيتى ونفرتارى .....

والد خنوم بضـيق : هكذا أنت دائما يا ولدى لا يعجبك رأيى ..... وكأنى تركتك تتعلم لتخالفنى ....

خنوم بلطف : لا يا أبى ولكن لكل زمان رجال ..... وما كان مناسـباً بالأمس ربما لا يكون مناسـباً اليوم ..... كما أن الأختلاف هو سـنة الحياة ..... أليست هذه مقولتك التى كنت ترددها لنا دائما .

أطرق والد خنوم برأسـه : معك حق يا خنوم يا ولدى .....غلبتنى بحجتك ، فأنت متعلم وأنا رجل جاهل

ينحنى خنوم على يد والده يقبلها **ثم يعقب قائلاً :** عفوا يا أبتٍ ، فأنا مازلت ولدك طوع يمينك

مد والد خنوم يده ومسح على رأس ولده برفق قائلاً بصوت حنون : باركتك الآلهة يا ولدى .

(٨)

فى القصـــر الملكى يجلس الملك بكوخوريس على كرســـى العرش وبجواره زوجتـه الملكـة الجميلـة ميريـت ويقف أمـامهم الوزير جـابى والقائد سيبو .

بكوخوريس : قل لى يا جابى ما رد فعل الشـــعب بعد القوانيين التى أصدرتها لصالحهم ؟

جابى : الشعب سعيد وحناجرهم لا تكل عن الهتاف لمولاى .....

تقاطعه الملكة بقولها : ولكنى يا مولاى أخشـــى أن ينقلب هتافهم لك .... وتكون سهامهم موجهة ضدك.

بكوخوريس متعجباً : وكيف هذا يا مليكتى ؟

الملكـة : ألســـت تريد مصـــادرة أراضـــى المعابد وتنتزعها من أيدى الكهنة ؟

أومأ بكوخوريس برأسه : نعم ..... هذا ما أسعى إليه بالفعل

الملكة : لا تنســى أن بعض أراضـــى المعابد كانت منحاً من الفراعنة الســـابقين لهؤلاء الكهنة ، و ها أنت الأن تريد انتزاعها منهم ، فهل سيتركونك تفعل ذلك ؟

بكوخوريس ساخراً : وماذا بيدهم ليفعلوه ؟

نظرت إليه الملكة نظرة إشفاق قبل أن تقول : سيثيروا عليك العامة

عبس وجه الملك من جملة الملكة الأخيرة **فقال وهو يحاول طرد القلق الذى تسرب إليه :** ألم تسمعى ما قاله الوزير جابى ، بأن الشعب صار يهتف لى ..... ثم أنى لم أناصـــب الكهنة العداء ، بل هم بأفعالهم أصـــبحوا أعداء لهذا الشـــعب الذى وثق بهم ، فأغراهم رنين الذهب وبريقه عن مهمتهم الأصلية ولم يكونوا قدوة للعامة بل أصبحوا عبيداً للمال ..... وأنى سأخذ منهم ما تقتضيه الحاجة لإصلاح البلاد .

جابى بلطف : أن سمح لى مولاى

بكوخوريس : تكلم أيها الوزير جابى

جابى : الملكة معها كل الحق يا مولاى .... فالكهنة منبثون فى أرجاء البلاد كالدم فى الجسد ، فهم ليسوا رجال دين فقط فمنهم الولاة والقضاة والكتاب ..... فالإقدام على خطوة كهذه يحتاج للتأنى والحكمة يا مولاي.

بكوخوريس : وما رأيك أنت أيها القائد سيبو؟

سيبو بحماس : مولاى أن الصبر فضيلة ولكنها لا تليق بالملوك ، فقد عوضتك الآلهة عنها بفضيلة القوة ..... وأرى أن تأخذهم بالشدة فهم أهل مكائد ودسائس ، ولا يأمن لهم جانب .....

تقاطعه الملكة بقولها : لا تنسى أيها القائد أن الشعب يُجلهم .... فهم الوسيط بين الآلهة والعامة ، وهم الذين يتحدثون بأسم الآلهة وينقلون تعاليمهم للناس .... وسيبثون أعوانهم بين الناس ليقولوا أن أراضى المعابد خاصة بالآلهة ..... وأن انتزاعها منهم سيكون سبباً لغضب الآلهة وسخطها عليهم .

سيبو : أنا لا أنكر ذلك يا مولاتى .... ولكنهم تجاوزوا الحد.... وكما قال مولاى الملك سابقاً ، أنهم لم يعد لهم هم سوى جمع المال واستنزاف الفقراء ..... فالكهنة قديماً كانوا يصرفون ريع الأراضى على الفقراء والمساكين ، أما الأن فهم يحبسونها لأنفسهم وهناك وجوه لمنافع الناس أحق بهذه الأموال من المعابد ..... ثم إن مولاى الملك بكوخوريس سيد البلاد بلا منازع ، ولا يجوز مخالفته بأى حال من الأحوال مهما كانت الأسباب .

تهلل وجه الملك فقال وقد راقه ما قاله قائد جيوشه : إذا فأنت تؤيد رأيى يا سيبو.

سيبو بلهجة تحمل الكثير من الثقة : بكل تأكيد يا مولاي.

وقف بكوخوريس وقبض بشدة على الصولجان الذى بيده قائلاً بحزم:

– هل جنودك على أتم الاستعداد أيها القائد سيبو ؟

وضع سيبو يده على مقبض سيفه قائلاً بحماس : رهن أشارة مولاي.

بكوخوريس : جابى

جابى : أمر مولاى

بكوخوريس : أصـدر مرسـوماً ملكياً وضـع عليه خاتمى بمصـادرة أملاك الكهنة الزائدة والتى تم حصـرها مسـبقاً ، وأوقاف المعابد لترد للدولة .... وسيبدأ رجال الشرطة فى تنفيذ هذا الأمر بعد انتهاء موسم الفيضان ، يعاونهم فى ذلك جنود القائد سيبو .

جابى : أمر مولاى

ظهر الاسـتياء على وجه الملكة التى تخشـى اسـتعداء الكهنة بهذه القرارات

فتمتمت بصـوت خفيض : أخشـى أن تحول بقرارك هذا كهنة المعابد إلى وحوش ضارية .

(٩)

جلس رانى ليستريح بعد أن قام بحرث حقله – أسفل شجرة التوت المتأخمة لحقله - ، وإذا بصديقه ميدى مقبل من بعيد .

ميدى : أسعدت الآلهة صباحك يا رانى

رانى : وصباحك يا ميدى

ميدى : كيف حالك ؟

رانى بمرح : كما ترى فى أحسن حال

ميدى : الحقيقة أنك منذ قمت بسداد دينك لبازو وأنت تغيرت كثيراً ..... فقد أصبحت شخصاً آخرأكثر مرحاً وتفائلاً

ضرب رانى بظهر يده على صدر ميدى مازحاً : هذا صحيح ..... ولكن ماذا .... أتحسدنى يا رجل

ميدى ضاحكاً : كلا يا صديقى ..... ولكنى تذكرت عندما جئتك منذ أكثرمن عام كنت عابساً ساخطاً ، لأن بازور كان يريد بيع بيتك وأنعامك إن لم تسدد دينك له ...

قطب رانى جبينه قائلاً : ولم تذكرنى بهذه الأيام السوداء ، لا أرجعتها الآلهة ..... نعم أذكر .... وأذكركذلك كيف كان تشريع الملك بكوخوريس بمثابة طوق النجاة لى ، فسددت أصل المال الذى أقترضته منه مع فائدة بسيطة .

ميدى : ولكن أين ذهب بازو فلم أعد أراه فى القرية ؟

رانى : منذ أصــدر الملك تشــريعه بأن لا تزيد الفائدة عن رأس المال ..... حتى ضــاقت الدنيا على هذا الأفاق اللعين فأصــبحنا ذات يوم ولم نجده بالقرية .....

ميدى : هل ذهب للإقامة فى مكان أخر ؟

رانى : ربما ..... وربما عاد إلى أرض كنعان فهو لم يكن مصـــرياً على أيه حال

ميدى : الحق يا رانى لقد رأيت حال القرية هذه المرة أفضل بكثير مما كانت عليه سابقاً ..... وهذا ليس هنا فقط .....

عقد رانى حاجبيه دهشة : ماذا تعنى **!**

ميدى : تعرف أنى تاجراً وأنى اتنقل كثيراً بين القرى لأبيع بضائعى

رانى مـازحـاً : نعم أعرف ..... فأنت تبيع بضـــائعك الجيدة للقرى الأخرى وتجيئنا هنا ببضائعك الرديئة ....أليس كذلك ؟

يضــحك ميدى على مقولة رانى ، ثم يعقب قائلاً : أهذا أنا ..... أتريد أن تسوئ سمعتى يا رجل ....

ثم يتوقف عن الضحك قائلاً : نعود إلى ماكنا نتحدث فيه

رانى : أجل ما الجديد الذى رأيته فى ترحالك بين القرى ؟

ميدى : لقد عم الخير أغلب القرى ..... حتى لقد أختفى اللصـــوص الذين كانوا يهاجمونها من آن لآخر ويعيثون فيها سلباً ونهباً .

رانى : هذا صــحيح ..... وللحق فالملك بكوخوريس أسـتطاع فى فترة وجيزة أن يعيد الأمن والأمان لبلادنا

ميدى : أتمنى أن يستمر هذا الحال ولا يتغير

كسا العبوس وجه رانى فقال بصوت يكسوه الحزن : أما أنا فاخشى أن يتغير ما نحن فيه بين عشية وضحاها

ميدى : ولم هذا التشاؤم يا رجل .....هل حسدتك كما تقول ..... لقد كنت فرحاً متفائلاً منذ قليل .....

رانى : لأن هناك من سيسعى لمحو انجازات هذا الملك وطمس انتصاراته

ظهرت الدهشة على وجه ميدى فقال : وحق بتاح أنا لم أعد أفهمك ..... فمن تقصد بقولك هذا ؟ ..... ومن هذا الذى سيحاول محو انجازات بكوخوريس وطمس انتصاراته ؟

رانى بضيق : ومن غيرهم ..... الكهنة طبعا

ضرب ميدى كف بكف متعجباً مما قاله رانى : أتقصد كهنة المعابد الذين قام الملك مؤخراً بمصادرة أموالهم وأوقاف معابدهم وردها لخزانة الدولة

رانى : بالضبط هذا ما أقصده

ميدى : أرى أنك متحامل عليهم يا رانى

رانى بحنق : لا لست متحامل عليهم ..... ولكنى أصبحت أبغض هؤلاء القوم

ميدى : ولما ؟

رانى : لأنهم يتعاملون بوجهين ....

ظهرت الدهشة على وجه ميدى فقال مقاطعاً : بوجهين ..... كيف ؟

رانى : يتعاملون معنا نحن العامة على أنهم الوسطاء بيننا وبين الآلهة فلا نملك إلا السمع والطاعة لهم ، فطاعتهم طاعة للآلهة ومعصيتهم عصيان للآلهة .... ولكن الحقيقة التى اكتشفتها مؤخراً أنهم هم اللصوص الحقيقيون الذين ينهبوننا ، فهم الذين أباحوا لبازو وأمثاله من المرابين مص دمائنا ونهب أموالنا لكى نعيش فى فقر مدقع .

ميدى : وكيف عرفت ذلك ؟

رانى : أبن أختى سامو يخدم بالمعبد ..... وذات يوم شاهد بازو يعطى الكاهن الأكبر كيساً من الذهب مقابل أن يعلن للناس أن الفائدة الكبيرة التى يتحصل عليها منا مشروعة من قبل الآلهة وأنها حلال .... حلال ..... حلال ..... ومرة أخرى سمعه يقول لكاهن أخر بالمعبد أنه يمقت الملك بكوخوريس ولو استطاع التخلص منه لفعل ..... أعرفت الأن لماذا أصبحت أبغضهم

أحس ميدى بصدق حديث رانى ، فقال وهو يركز بصره فى الفضاء البعيد : لو أن ما ذكرته صحيح ، فهم حتماً أخطر علينا من أعداءنا الذين يقبعون خارج البلاد .

رانى : نعم .... وستثبت لك الأيام ذلك

(١٠)

معبد الإلهة نايت :

يقف الكاهن مرحتب متوسطاً المنضدة الرخامية الموجودة بقاعة الاجتماعات بالمعبد ، مُرحباً بثلاثة من رؤوس كهنة المعابد المصرية : مرحبا بالكاهن نفر الكاهن الأكبر لمعبد آمون ..... والكاهن أوسر الكاهن الأكبر لمعبد بتاح ..... والكاهن عامو الكاهن الأكبر لمعبد أيزيس

الكهنة فى صوت واحد : مرحبا بك أيها الكاهن الأكبر مرحتب أسعدت الآلهة يومك

مرحتب : ويومكم .... شكراً لكم جميعا لتلبيتكم دعوتى .....

يجلس الكاهن مرحتب ويشير إليهم بالجلوس قائلاً : تفضلوا بالجلوس

مرحتب : أتدرون لما جمعتكم اليوم يا أصحاب القداسة

الكاهن عامو : لعل الأمر متعلق بما فعله بنا الملك بكوخوريس

مرحتب بحنق : هو ذاك ..... لقد تجاوز هذا البكوخوريس الحدود كلها بمعاداته لنا..... أيظن أن بامكانه الإستئثار بحكم مصر دوننا نحن الكهنة ..... لقد زاد غروراً بعد الانتصارات التى حققها على أمراء الأقاليم ونجاحه فى الجلوس على عرش مصر ..... حتى لقد بخل على

معابدنا بالأموال التى كان يغنمها ..... فلم يعد يغدق علينا نحن الكهنة خدام الآلهة بالعطايا من الذهب والفضة مثلما كان يفعل أسلافه .....

أوسـر : حقا ما تقول أيها الكاهن مرحتب..... لقد نسـى أن الملوك لا يستطيعون الأستغناء عن الكهنة وأن فراعنة مصر منذ القدم يحكمون البلاد بمعاونتنا ، وأننا قوة لا يستهان بها .....

نفر : إلا يعلم هذا الملك أننا أصـحاب النفوذ الكبير فى هذه البلاد وأننا المتحدثين بإسـم الآلهة ..... وأننا نحن الذين نسـيطر على العامة وإن شئنا ألبناهم عليه .....يبدو أنه لا يعى التاريخ جيداً ..... ألم يسمع بما فعله كهنة آمون بالفرعون أخناتون عندما كفر بعبادة الإلهة آمون رع ودعا لعبادة آتون ، وكيف كانت نهايته

يمسـح عامو بيده على صـلعته قائلاً : أتعنى قداسـتك أن يكون بكوخوريس قد أصـبح من الموحدين الذين يدعون لعبادة إله واحد ونبذ عبادة آلهتنا .....

أشار مرحتب بيده مستنكراً : أنا لا أعتقد ذلك ، فالتاريخ لا يعيد نفسه فبكوخوريس ليس كأخناتون وقائد جيشه سيبو ليس كحور محب

عامو : فماذا ترى إذن أيها الكاهن الأكبر مرحتب ؟

مرحتب : هذا هو ما جمعتكم اليوم من أجله ..... يجب علينا أن نضـع حداً لهذا الملك وإلا سقطت هيبتنا وضاع نفوذنا .... فماذا تقترحون ؟

نفر : أرى أن نذهب إليه جميعا ونحذره من عواقب ما فعل ..... وأنه لايجوز له المســـاس بكهنة المعابد ولا أوقافها ، ويجب عليه أن يعيد للكهنة نفوذهم وأموالهم التى صادرها .

مرحتب : لا أعتقد أنه سيرضخ لطلباتنا ، فبكوخوريس عنيد .... فهو يعتمد على تأييد الجيش له ، فكما تعرفون أن سيبو قائد الجيش يسانده بقوة ، فهو سميره ونديمه ومستشاره الخاص .....

يمرر الكاهن أوســر يده على حلقه قائلاً : أرى أن نتخلص منه بالقتل ..... فيقوم أحد خدم القصـــر الموالين لنا بدس الســم له فى الطعام أو الشراب ، أو بدس أفعى الكوبرا فى مخدعه فنستريح منه إلى الأبد

مرحتب : الكل يعلم ما ســـار بيننا وبينه من كراهية وعداء ..... وإن حدث هذا فســتشـــير أصـــابع الأتهام نحونا وســيصـــبح شـــهيداً فى نظر العامة .....

عامو بضجر : لقد حيرتنا أيها الكاهن الأكبر مرحتب ..... فماذا تقترح علينا إذن ؟

حدج مرحتب فى وجوه الكهنـة ثم قـال وقد لمعت عينـاه : أرى أن نرسل إلى عدوه اللدود رامون .....

نفر مقاطعاً : أمير طيبة ؟

مرحتب : أجل هو ..... فرامون كما تعلمون فر إلى شاباكا ملك النوبة فسنرسل إليه ونغريه بالتحالف مع شاباكا لإسقاط بكوخوريس من على

عرش مصر ..... ولا تنسوا أن بكوخوريس ليس مصرياً فقد جاء آباءه اللوبيين غزاة لمصـــر من الصـــحراء ، ونحن الكهنة من أكســـبناهم الشرعية لحكم البلاد ....

راقت الفكرة التى طرحها مرحتب الكهنة الثلاثة فقالوا فى صـــوت واحد : ونعم الرأى ..... أجل أجل أحسنت الرأى أيها الكاهن مرحتب

رفع نفر يده قائلاً : حسـنا فى هذه الحالة سـأذهب أنا إلى العاصـمة " نباتا " لالتقى برامون

يشـير إليه مرحتب بالموافقة قائلاً : لك ذلك ..... والأن فلنقسـم على ما اتفقنا عليه وليكن قســـمنا .... نقســـم بآلهتنا العوالى على اســـقاط بكوخوريس والقضاء عليه

رفع الكهنة أيديهم للقسم قائلين فى صوت واحد : نقسم بآلهتنا العوالى على اسقاط بكوخوريس والقضاء عليه .

(١١)

العاصمة نباتا :

يجتمع الكاهن نفر برامون ويعرض عليه ما اتفق عليه كهنة المعابد المصرية.

رامون : إذن فأنت تريد منى أن أقنع شـــاباكا بغزو مصـــر واســـقاط بكوخوريس من على عرشها ..... أليس كذلك أيها الكاهن نفر؟

الكاهن نفر : هو كذلك أيها الأمير رامون ..... وهذا ما اتفقنا عليه أنا وكبار كهنة المعابد المصرية عند اجتماعنا فى سايس

يرمق رامون الكاهن نفر بنظرة ثاقبة قائلاً : وعلى من تم اتفاقكم عليه ليخلف بكوخوريس على العرش ؟

ينظر الكاهن نفر إلى رامون نظرة ماكرة ثم يجيه بدهاء قائلاً : ليس هناك من هو أفضل منك لتولى هذا الأمر

أبتسم رامون قائلاً : حسنا..... ولكن ما هى طلباتكم يا كهنة مصر إن توليت أنا عرش مصر؟

صمت نفر برهة – فقد توقع هذا السؤال من رامون – ثم اجأبه قائلاً : أن يعود للكهنة نفوذهم وما يستحقون من أموال كما كان فى السابق

حملق رامون فى وجه نفر وحدث نفســـه قائلاً : أنكم أيها الكهنة لا تتورعون على التعاون مع الشيطان نفسه فى سبيل تحقيق ما تريدون

قطع نفر شرود رامون بقوله : أيها الأمير فيما تفكر

رامون : لا شئ ..... لكم ذلك ..... ولكن

نفر : ولكن ماذا ؟

رامون : ولكن شـــاباكا إن ســـاعدنا فلن يرضـــى إلا أن يكون هو ملكاً على مصر .....

ثم يصمت برهة من الوقت ثم يعقب قائلاً : ولكن لا بأس فأنا أرتضـى أن أعود كما كنت أميراً على طيبة ..... ولكن تبقى مشكلة

نفر : أيه مشكلة تعنى ؟

رامون : إلا تعلمون بالتحالف القائم بين بكوخوريس والأشـــوريين ، فهم بالتأكيد سيعينونه فى حالة إذا ما نشب القتال بيننا وبينه

نفر : لا تقلق فلم يعد هذا التحالف قائما الأن

عقد رامون حاجبيه دهشة وقال : وكيف ذلك ؟

نفر : يبدو أن الأذباء لم تصـــلكم بعد هنا فى النوبة ..... لقد مات سرجون ملك أشور .....وقام خليفته بنقض المعاهدة والإستيلاء على بعض مدننا بالشـام .... ولقد تركت بكوخوريس يعد جيشـاً بقيادة سـيبو لإستعادة تلك المدن .....

تهلل وجه رامون فقال فرحاً : هذه أنباء عظيمة .....إذا يجب أن ننتهز فرصة انشغاله بقتال الأشوريين ونقضى عليه ..... حسناً ستأتى معى غداً لمقابلة الملك شـــاباكا ، وتقص عليه ما قلته لى الأن ونحاول معا اقناعه بغزو مصر .

نفر : لك ما تريد أيها الأمير رامون .

(١٢)

التقى جيش بكوخوريس بقيادة ســـيبو وجيش أشـــور بقيادة بهادرعلى أرض فلسطين ، وكانت معركة حامية الوطيس أنتهت بقتل القائد سيبو وهزيمة جيشـــه . على الرغم مما أظهره القائد المصـــرى وجنوده من شجاعة نادرة ولكن كثرة عدد جيش الأشوريين ، ووجود بعض الخونة وسط صفوف الجيش المصرى حالت دون تحقيق النصر.

وفى العاصمة سايس :

يدخل الوزير جابى وقد بدا عليه الانزعاج على الملك بكوخوريس : مولاى ..... أنباء غير سارة

تسرب القلق إلى بكوخوريس فهب واقفاً وسأل جابى : أمن الشرق ؟

نكس جابى رأســـه فقال وقد خرجت الكلمات ثقيلة من فيه : نعم يا مولاى ..... لقد هُزم جيشنا أمام الأشوريين

علت الكأبة وجه بكوخوريس فقال بصوت حزين : ماذا ؟ هزم الجيش ..... أنها كارثة ، وهل عاد سيبو ؟

جابى بأسى : مولاى ..... لقد قتل القائد سيبو فى المعركة

خر بكوخوريس منهاراً على كرسى العرش فقال بجزع وقد اغرورقت عيناه : قتل سيبو

جابى : نعم يامولاى .....

خيم السكون للحظات على المكان فقال جابى : أرى الأن يا مولاى أن نعيد ترتيب أمرنا بسرعة ..... فهناك عدو فى الجنوب يتربص بنا

أطرق بكوخوريس برأسه : تعنى شاباكا .... أليس كذلك ؟

جابى : أجل يا مولاى فخطره علينا لا يقل عن خطر الأشـوريين ..... فهو يطمع فى غزو بلادنا و يتحين الوقت المناسب للانقضاض علينا.

بكوخوريس : أعلم ذلك ..... وســأرســل لملك أشــور أعرض عليه الصــلح مقابل تنازلنا له عن مدننا فى الشــام ، حتى لا نقع بين شــقى الرحى فنضطر للمحاربه فى جبهتين فى آن واحد

جابى : وأنا مع رأى مولاى ..... فالريح عاتية ..... كما أن الكهنة يعملون الأن على زعزعة جبهتنا الداخلية بتأليب العامة علينا

هز بكوخوريس رأســه قائلاً : حقا لقد اسـتهنت بأمر هؤلاء الكهنة ولم أقدرهم قدرهم ، فهم أخطر علينا من شاباكا والأشوريين .

(١٣)

عهد بكوخوريس للضـــابط بيمبو بقيادة الجيش خلفاً للقائد ســـيبو . فى الوقت الذى قام فيه شـاباكا بإعداد جيشـاً عظيماً لغزو مصـر وأحسـن تسـليحه وتدريبه ، وعندما أنتهت الاسـتعدادات قاد الجيش بنفسـه . ولم يكن بيمبو كسلفه فتلقى الهزائم الوحدة تلو الأخرى . وفى أقل من شهر كانت مصر العليا قد سقطت بيد شاباكا وسقطت معها طيبة .

يخاطب شـــاباكا رامون وهو يحتســـى كأســـاً من الخمر : ها قد عدت أميراً لطيبة كما كنت .... ذلك لتعلم أنى لا أخلف وعدى

يحنى رامون رأســه شـاكراً : جزيل الشـكر لملكنا المعظم شـاباكا ..... وأنا ما زلت وسأظل مخلصاً وفياً لمولاى شاباكا

شاباكا : أما أنا فسأكمل المسير حتى سايس للقضاء على بكوخوريس

رامون : ليسمح لى مولاى بمرافقته حتى يتحقق النصر العظيم

شاباكا : ولكن أنت الأن أمير طيبة .... فمن سيخلفك فيها إن تركتها

رامون : بعد إذن مولاى سـأترك فى طيبة الضـابط وان لتولى شـئونها حتى أعود

يضـــحك شـــاباكا قـائلاً : أنـت تريـد أن تبر بقســـمـك وتقتـل بكوخوريس بنفسك

رامون باصرار: أجل يا مولاى هو ذاك

شاباكا : حسناً يا رامون سترافقنى إلى سايس

(١٤)

فى معبد الإلهة نايت :

يطرق الخادم باب حجرة الكاهن الأكبر مرحتب قائلاً : سـيدى الكاهن الأكبر رسول بالخارج معه رسالة من طيبة

مرحتب : أدخله على الفور

يدخل الرسول فيناول مرحتب الرسالة قائلاً : رسالة من الأمير رامون

وما أن قرأ مرحتب الرسالة حتى تهلل وجهه فصاح فرحاً وقد لمعت عيناه : مرحى .... مرحى ..... ها سقطت طيبة بيدى شاباكا

وتوالت انتصارات شاباكا فسقطت مدن مصر الوسطى الواحدة تلو الأخرى .

وصلت أنباء تلك الأنتصارات إلى مرحتب فقهقه فرحاً بصوت عال : وها قد سقطت أهناسيا و منف وأصبحت مصر الوسطى بيدى شاباكا ..... ولم يبقى سوى الدلتا ..... لقد حانت نهايتك يا بكوخوريس .

(١٥)

فى القصر الملكى بالعاصمة سايس :

الحاجب : مولاى الملك بكوخوريس ..... رسول من قبل الملك شاباكا

بكوخوريس : أدخله على الفور

الحاجب : أمر مولاى

يدخل الرســـول مؤديا التحية للملك : الســـلام على الملك بكوخوريس ..... أحمل لك رسالة من الملك المعظم شاباكا .....

يتناول الوزير جابى الرســـالة من الرســـول ويقدمها إلى بكوخوريس ، والذى ما إن قرأها حتى هب واقفاً وقد أعتلى وجهه الغضـــــب فوجه كلامه لوزيره قائلاً : أترى يا جابى .... شـاباكا يطلب منى أن أسلم له سايس وأن أتنازل له عن حكم مصر .....

يشير بكوخوريس بسبابته للرسول قائلاً بغضب : لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتك وعلقت رأسك على أسوار المدينة

الرســـول متلعثماً : مولاى الملك بكوخوريس ..... ما أنا إلا رســـول وما على الرسول إلا تبليغ ما يأمره به مولاه

جابى : الرسول معه حق يا مولاى

أطرق بكوخوريس برأسه قائلاً : نعم .... نعم .....

ثم يوجه كلامه لرسول شاباكا قائلاً : قل لملكك لا يغرنك ما حققته من نصـر وما اسـتوليت عليه من مدن ، فدلتا مصـر غنية بالرجال والعتاد ..... ولن تملك ما تحت قدمى إلا بالسيف

تردد الرسول قبل أن يقول بخشوع : هل سأحمل ما قاله مولاى الملك فى رسالة مكتوبة

بكوخوريس بحدة : بل ستبلغه ما سمعته منى مشافهة هيا أنصرف

الرسول : أمر الملك بكوخوريس

وما أن أنصـرف الرسـول حتى مال جابى برأسـه ناحية الملك قائلاً : أرى أن رد مولاى على رسالة شاباكا كان عنيفاً

بكوخوريس : وكيف أرد عليه إذا وهو يطلب منى الاستسلام

جابى : أخشـــى يامولاى أن يزده ردك على رســـالته عنفاً وتوحشـــاً وتعطشاً لسفك المزيد من الدماء

بكوخوريس : وماذا كنت تريدنى أن أفعل ؟

جابى : أن نهادنه لكسب المزيد من الوقت حتى نعيد ترتيب أمرنا ..... ولكن سبق السيف العزل

وصـــل الرســـول إلى منف حيث يعســـكر الملك شـــاباكا وأبلغه رد بكوخوريس على رســـالته ، فقال لرامون وهو يضـــحك مســـتهزاء : أسمعت يا رامون

رامون : نعم ســـمعت وعجبت كل العجب من رده عليك..... أبعدما سقطت مصر الوسطى والعليا بمدنها الكبرى بإيدينا ..... أقصد بيدك ولم يتبقى تحت يده ســـوى الدلتا يتحدث عن الرجال والعتاد ..... يا له من مغرور

شـــاباكا : دعه يحلم بالنصـــر ، حتى يفيق وأنا أطبق عليه أطباق السورعلى المعصم ..... فلنعقد مجلس الحرب الأن

رامون : الأن

شاباكا : نعم الأن

(١٦)

لم يستطع بيمبو قائد جيش بكوخوريس وقف زحف شاباكا ، فانسحب إلى برنوب وتحصن بها حتى تأتيه الإمدادات من العاصمة ، لكن شاباكا ضرب حصار حول المدينة لمنع وصول الإمدادات إليها . واستطاع بيمبو التسلل مع بعض خواصه إلى خارج المدينة من خلال دهليز سرى تحت الأرض متجهاً إلى سايس . فى الوقت الذى واصل شاباكا تقدمه حتى أصبح على بعد فرسخين فقط من سايس .

وفى القصر الملكى أجتمع الملك بكوخوريس والوزير جابى والقائد بيمبو.

جابى : الرأى عندى يا مولاى أن نترك لهم سايس وننسحب إلى الغرب حيث أهلك وعشيرتك من اللوبيين .

بكوخورس بشمئزاز : ننسحب .... بئس الرأى أيها الوزير جابى ..... إن أهلى وعشيرتى هنا فى مصر ودق الأرض بقدمه قائلاً : هنا نشأت وتررعت وأكلت من خير هذه البلاد وشربت من نيلها ..... أتريدنى الأن أن أفر .... لا ..... بل سأواجههم هنا حتى لو اضطررت لقتالهم وحدى

بيمبو : مولاى الملك أن أعدادهم تفوق أعدادنا بكثير

بكوخوريس بسخرية : أتخاف الموت يا بيمبو أم تخاف الهزيمة ؟

بيمبو متلعثماً : لا هذا ولا ذاك يا مولاى ..... فأنا قائد جيشك وطوع أمرك

بكوخوريس ساخراً : نعم نعم .... لقد عينتك قائداً للجيش خلفاً لسيبو لما سمعته عنك من بأس وشجاعة ..... وكانت النتيجة ما نحن فيه

الأن ..... شاباكا ورامون على أبواب العاصمة سايس يريدون استكمال ما بدأوه ، ووضع نهاية لعهد بكوخوريس

بيمبو وهو يبلع ريقه بصعوبة : مولاى .....

يشـــير بكوخوريس إليه قائلاً : لا تقل شـــئ ..... فلم يعد هناك وقت ..... فأما أن نقاتلهم وننتصـــر عليهم ونســـتعيد ما فقدناه ..... وأما الهزيمة ونهاية كل شئ

بيمبو بحماس : بل سنحاربهم وننتصر عليهم

بكوخوريس : وهذا ما أتمناه ..... كم قوام جيشك الأن ؟

بيمبو : ثمانية عشر ألفاً

أطرق بكوخوريس برأسـه **ثم أخذ يردد بصـوت خفيض :** ثمانية عشـر ألفاً أمام أربعون ألفاً .....

سـاد الصـمت للحظات قاعة العرش ثم وجه بكوخوريس كلامه لبيمبو **قائلاً :** حسـنا سـأقود أنا هذه المعركة بنفسـى بعد غداً صـباحاً سـتكون المعركة الفاصلة

بيمبو : بنفسك يا مولاى

بكوخوريس : نعم يـا بيمبو ..... قم بتجهيز الجنـد وتعبئتهم ..... فستكون أنت فى ميمنة الجيش وآبى فى الميسرة وأكون أنا فى القلب .

بيمبو : أمر مولاى

ويشير إليه بكوخوريس بالانصراف

(١٧)

حاول بكوخوريس ليلة المعركة أن ينال قســـط من الراحة ، لكنه ظل مستيقظاً طوال الليل لم يغمض له جفن ، يفكر فى المعركة التى ستبدأ عند الصباح وما ستسفر عنه . فمعركته مع شاباكا ليست سهلة ، فهى معركة غير متكافئة فجيشــه ثمانية عشــر ألفا وجيش شــاباكا يزيد عن الأربعين ألفاً ، كما أن المعركة ستدور على أبواب العاصـمة سـايس . فإذا لم يستطع هزيمة شاباكا ووقف تقدمه ، فستسقط سايس بيده وعندئذ يعلن شاباكا نفسه ملكاً على مصر.

وعند بزوغ الفجر ارتدى بكوخوريس لامة الحرب ، وودع زوجته الملكة ميريت وولده الصغيرالأمير بنتاو .

ميريت وقد انسابت من عينيها دمعة حارة : فلتبارك الآلهة يومك أيها الزوج الحبيب وليكن النصر حليفك ثم عانقته قائلة : فلتعد لى سالماً.

واتجه بكوخوريس إلى معسكر الجيش حيث اجتمع مع قواد جيشه.

بكوخوريس : هل الكل مستعد أيها القائد بيمبو ....

بيمبو : أجل يا مولاي.

بكوخوريس : إذا فلنراجع خطة الحرب سريعاً.

وبعد أن راجع بكوخوريس خطة الحرب مع قواده ، غادر الخيمة مرتدياً الخوذة على رأسه ، ثم امتطى صهوة جواده وأعطى الأشارة بيده قائلاً :

فليطلق نفير الحرب ولتدق الطبول .

سار بكوخوريس بجيشه إلى حيث يعسكر جيش شاباكا، وعندما اصطف الجيشان شهر بكوخوريس سيفه للأمام صائحاً :

هجوم

بدأت المعركة بهجوم كاسح لجيش بكوخوريس ، حيث قامت كتيبتين من جيشه بإختراق قلب جيش شاباكا وعزلها عن الميمنة والميسرة .

عندئذ اقتحم بكوخوريس بفرسانه قلب جيش شاباكا ، حيث شلت المفاجأة شاباكا وقواده فلم يكن يتوقع أن يبدأ بكوخوريس بالهجوم بل بنى خطته على عكس ذلك ، وأن بكوخوريس سيكون فى موقف المدافع .

وأبلى بكوخوريس وقادته بلاء حسناً فى المعركة خاصة القائد بيمبو ، واستحرى القتل فى جيش شاباكا وكاد شابكا نفسه أن يقتل فى المعركة ، ومالت الكفة لصالح بكوخوريس ، ولكن حدث ما مالم يكن فى حسبان بكوخوريس .

كان شاباكا قد عهد قبل المعركة لرامون بقيادة مؤخرة الجيش – وقوامها ستة الآف مقاتل – وأمره ألا يشترك فى بداية المعركة وأن

يحاول الالتفاف على مؤخرة جيش بكوخوريس ليصبح بين فكى جيشه من ناحية ، ويقطع عليه طريق العودة إلى سايس من ناحية أخرى .

فوجئ جيش بكوخوريس برامون يهجم عليهم من الخلف ، فأصبحوا بين شقى الرحى و سادت الفوضى فى صفوفهم ، وانقلب النصر الذى حققه جيش بكوخوريس إلى هزيمة .

والتقى رامون وبكوخوريس وجهاً لوجه :

رامون : ها قد تقابلنا أخيراً يا بكوخوريس .....

بكوخوريس : من ؟ رامون .... الأمير الخائن الذى تحالف مع شاباكا لغزو مصر

رامون : نعم رامون ..... لقد حانت ساعتك ..... وستكون نهايتك على يدى.

بكوخوريس بسخرية : أترانى أخشى الموت ..... هيا فلنتبارز وننهى هذا الأمر الساعة

بدأت المبارزة بين بكوخوريس ورامون كلامنهما على صهوة جواده ، وكانت المبارزة متكافئة بينهما حتى استطاع رامون أن يسدد بسيفه طعنه فى صدر بكوخوريس خر على أثرها من فوق صهوة جواده ترجل رامون من على فرسه شاهراً سيفه ونظر إلى بكوخوريس متشفياً ، ثم قال بزهو : ألم أقل لك أن نهايتك ستكون على يدي.

شـــاهد بيمبو بكوخوريس هو يســقط من فوق صـــهوة جواده فحدث نفســـه قائلاً : لقد قتل رامون الملك ..... وحق نايت لن تفلت منى أيها الخائن .....

ثم سدد رمحه إلى رامون قائلاً : خذ أيها الخائن

رفع رامون ســـيفه ليُجهز على بكوخوريس فإذا حربة بيمبو تخترق ظهره لتخرج من صدره.

بيمبو : فلتلعنك الآلهة أيها الخائن الحقير

ثم أتجه بيمبو مسرعاً إلى بكوخوريس الذى كان ينازع الموت ، فمال عليـه ونزع عنـه خوذتـه قـائلاً وقد اغرورقت عينـاه : مولاى الملك بكوخوريس ..... مولاى الملك بكوخوريس

رفع بكوخوريس عيناه ببطء فنظر لبيمبو قائلاً بصوت واه : بيمبو

بيمبو : أجل يا مولاى ..... فداك نفسى ..... لقد قتلت الخائن رامون

ابتسم بكوخوريس قائلاً : أحقا فعلت !

بيمبو : نعم فعلتها يا مولاى ..... لقد نال هذا الخائن ما يســتحق ..... أن جنودك لم يألوا جهداً فى الدفاع عن مدينتا العظيمة سـايس .... ولقد قاتلوا قتال الأبطال حتى استحرى القتل فيهم ، ولكن العدو يفوقونا عدة وعتاداً.

بكوخوريس بصـــوت متقطع : نعم نعم .... لقد قرت عينى بك اليوم أنت وجنودك قبل رحيلى عن الدنيا ....

بيمبو باكياً : مولاى

بكوخوريس بصـــوت واه وأنفاس لاهثة : فليشـــهد التاريخ ... أننى أحببت هذا البلد ..... وبذلت ما فى وسـعى لإسـعاد شـعبه ورفع الظلم عن كاهله ..... وها أنا أموت .... وقد امتزجت دمائى بترابه ..... سلام عليك يا مصر الحبيبة . ثم سكتت أنفاسه

بيمبو وقد علا نشيجه : مولاى الملك ..... مولاى بكوخوريس.

أســـبل بيمبو بيده جفون الملك ثم عقب قائلاً : فلترحمك الآلهة أيها الملك العظيم ، وليرقد جســـدك بســـلام لينعم بالراحة الأبدية ، وتنعم روحك بالخلود فى عالم أوزوريس العظيم، فمصر لن تنساك أبداً.

(١٨)

المدرج الكبير بكلية الحقوق :

د. بلال : ودلوقت يا ولاد بعد ما عرفتوا حكاية بكوخوريس والهدف من وراء تشريعه ، حد يقدر يقول لى ما هى أحكام قانون بكوخوريس؟

– ها ... قول أنت

أحد الطلاب : أحكام قانون بكوخوريس واحد إلغاء الاســترقاق بســب الدين .....

تمت...

يرموك البحر

(١)

كان الامبراطور قسطنطين الثانى ثائراً من أنباء انتصارات المسلمين المتتالية فى الشمال الإفريقى ، وخروجها من تحت عباءة الامبراطورية البيزنطية . بعد أن سحق جيش المسلمين فى سبيطلة جيش الروم بقيادة جيرجيوس .

وفى بلاط القصر الامبراطورى بالقسطنطينية اجتمع امبراطور بيزنطى مع قائد جيوشه ارمانوس لبحث الرد الحاسم لوقف الزحف الإسلامى .

قسطنطين غاضباً :

سحقاً لهؤلاء العرب ، من أى باب من أبواب الجحيم خرج علينا هؤلاء القوم ؟ وحق الرب لا أدرى أهم من الأنس أم من الجن ! ..... ففى أقل من عشرون عاماً أزلوا مملكة كسرى ، ففتحوا العراق وفارس ..... فى نفس الوقت الذى انقضوا فيه على امبراطوريتنا فانتزعوا منا الشام ومصر ، حتى مات هرقل العظيم كمداً ..... وهاهم الأن ينتزعون منا أفريقيا وقبرص وأرمينيا حتى صاروا يهددون القسطنطينية نفسها.

يرد عليه ارمانوس بضيق :

حقاً يا مولاى ..... لقد استبشرنا خيراً بمقتل خليفتهم عمر وظننا أن الوهن سيدب فى عضدهم ، لكن العكس هو ما حصل ..... فقد سار خليفتهم الجديد عثمان على نهج عمر فواصل الفتوحات بكل عزم واصرار ، فأكمل فتح فارس حتى وصلت جيوش المسلمين حدود

الصـــين ، فى نفس الوقت الذى أزلوا فيه البســـاط من تحت أقدامنا باحتلالهم أرمينيا وشـمال أفريقيا حتى اتسـعت رقعة خلافتهم ..... ولم يكتفوا بـذلـك ، فقد بنوا أســـطولا مكنهم من ركوب البحرلأول مرة فاحتلوا به أهم جزرنا ببحرالروم قبرص ورودس.

قسطنطين وقد هدأت ثورته :

معك حق يا ارمانوس فقد اســـتهنا فعلا بالخليفة الجديد وظننا أنه كما يشـاع عنه من الرقة واللين ، ولكنا كنا مخطئين ولم نعرف قدر الرجل .... ولكن على الرغم من كرهى لهؤلاء المســـلمون إلا أنى لا أخفى إعجابى بما حققوه من انتصارات.

عقد ارمانوس حاجبيه دهشة ثم وجه سؤاله لقسطنطين :

إعجابك بهم .... وكيف هذا يا مولاي ؟

قسطنطين :

ألم يلفت انتبـاهك وأنـت القـائـد المحنـك لجيوش بيزنطى ، أن هؤلاء العرب المسلمون يقاتلون على جبهتين فى وقت واحد منذ عشرين عاماً ..... ويحققون الإنتصـــارت المتتالية بأقل خســائر ممكنة ، على الرغم من قلـة عدد جيوشـــهم بـالمقـارنـة بجيوش الفرس والروم ..... حتى أصـــبحت الأرض التى تحت أيدهم الأن تفوق مســـاحة الأمبراطورية الرومـانيـة وهى فى أوج عظمتهـا ..... أيمكن أن تفســـر لى كيف حدث ذلك ؟

ارمانوس بعد أن صمت ملياً :

الإيمان ..... الإيمان يا مولاي.

قسطنطين متعجباً :

الأيمان ! وكيف ذلك ؟ .... وضح ما تقول فوحق الرب أنا لا أفهم ماذا تعنى بكلمتك تلك !

ارمانوس :

إن المســـلمين يا مولاى يقاتلون عن عقيدة يؤمنون بها أشـــد الأيمان ويبـذلون فى ســـبيلهـا أرواحهم ودمـائهم ..... فهم مؤمنون بربهم ، مؤمنون بنبيهم ، مؤمنون بقرأنهم ..... مؤمنون بوعـد نبيهم لهم من أنهم ســيفتحون الأرض وســيملكونها من بعده .... أما نحن فنقاتل من أجل الدنيا .....

أطرق قسطنطين برأسه :

أجل .... أجل ..... ولكن كيف عرفت هذا ؟

أرمانوس :

عرفت هذا من قتالى ضـــدهم فى الشـــام ..... وكان لديهم قائد لم أرى مثله فى حياتى .....

قاطعه قسطنطين قائلاً :

أتقصد خالد بن الوليد.

أرمانوس :

أجل يا مولاى .... وكان المسلمون يلقبونه بسيف الله المسلول ....

قسطنطين :

نعم .... نعم فلم يتوقع أحد أن يخرج من قلب جزيرة العرب عبقرية عســـكرية كهذا الرجل ..... وأذكر أنك كنت فى الحملة التى حاولت استرداد مصر أليس كذلك ؟

ارمانوس :

أجل يا مولاى ..... لقد كنت فى الحملة التى نزلت الإســـكندرية حينما حاولنا استرداد مصر من إيدى المسلمين زمن هرقل العظيم .....

قسطنطين ساخراً :

ولكنكم فشلتم فشلا ذريعاً .....

ثم أردف بحماس وقد علا صوته :

ولكن هذه المرة ليس للفشل مكان... فلابد من وقف انتصارات العرب.

ارمانوس بلهفة :

هل يعنى هذا يا مولاى أننا سنعيد الكره لإسترداد مصر من أيدى المسلمين ؟

يشير إليه قسطنطين بسبابته قائلاً :

بالظبط هذا ما أريده ..... فمصر مصدر قوة للمسلمين منذ أن فتحوها ، وكانت نقطة انطلاقهم لفتح أفريقية وبها أسطول .... نعم هو أسطول صغير بالمقارنة باسطولنا الكبير الذى يسيطر على بحر الروم ، ولكن هل نقف مكتوفى الأيدى حتى يطأوا بسنابك خيولهم القسطنطنية عاصمة امبراطوريتنا .....

ثم يعقب بحماس وقد ضم قبضته أمام وجهه :

وحق الرب لتستعيدن الإمبراطورية الرومانية هيبتها على يدى ، ولن أحنث بقسمى هذا مهما كلفنى ذلك .

ارمانوس وقد انتقل حماس قسطنطين إليه :

مرنى فأنا طوع أمرك يا مولاى.

قسطنطين :

قل لى يا ارمانوس .... كم من الوقت يلزمك لتجهيز أربعمائة... بل ستمائة سفينة ؟ ..... نعم نعم لتكن ستمائة سفينة حربية بكامل عدتها وعتادها ....

صمت ارمانوس برهة من الوقت ثم قال :

أربعة أشهر يامولاي.

قسطنطين :

لتكن أربعة أشهر لا أكثر ..... وأنا سأقود هذا الأسطول بنفسى

عقد ارمانوس حاجبيه دهشة :

بنفسك يامولاى !

قسطنطين بحماس غلب عليه الزهو والغرور :

نعم يا ارمانوس سأقود هذا الأسطول بنفسى ..... ويضرب بقبضته على صدره عده مرات ثم يعقب قائلاً : أنا من سيقودكم إلى النصر هذه المرة ..... وحق الرب لاذيقن العرب مرارة الهزيمة حتى لا تقوم لهم قائمة بعدها ولانتزعن منهم ما سلبوه منا ....

ثم استطرد بهدوء :

اذهب الأن يا ارمانوس وأبدا فورا بتنفيذ ما أمرتك به .

ارمانوس :

أمر مولاي.

(٢)

كان لمعاوية بن أبى ســـفيان والى الشـــام عيوناً بأرض الروم ، فلما وردت الأنباء إليه باستعدادات قسطنين لغزو مصر بأسطول ضخم ، أرسـل إلى الخليفة عثمان رضـى الله عنه بالمدينة المنورة يخبره بأمر هذه الحملة.

مروان بن الحكم (كاتب الخليفة) :

أمير المؤمنين ..... رسول معاوية بن أبى سفيان أمير الشام يستأذن فى الدخول.

الخليفة عثمان بن عفان : ادخله على الفور.

الرسول : السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

عثمان : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.. كيف حال الناس بالشام؟

الرسول : تركتهم على أحسن حال يامولاي.

عثمان بطمائنينة : الحمد لله .....امعك رسالة من معاوية ؟

الرسول : نعم ..... ها هي.

يتناول الخليفة عثمان الرسالة فإذا فيها :

" بســم الله الرحمن الرحيم . لأمير المؤمنين عثمان بن عفان من واليه على الشـام معاوية بن أبى سـفيان . سـلام عليك . فأنى أحمد الله إليك الذى اسبغ علينا نعمة ظاهرة وباطنة . أما بعد فقد ابلغتنا عيوننا بأرض الروم أن امبراطورهم قســطنطين يعد العدة لغزو مصـــرعن طريق

البحر، فى حملة كبيرة لم تشـــهد البحار مثلها ، وقد جمع لهذه الحملة أكـثـرمـن ســـتـمـائـة ســـفـيـنـة يـقـودهـا بـنـفســـه. والرأى إليك فانظر ماذا ترى ، وفقك الله لما فيه نصـــره الإســـلام والمسلمين . والسلام ".

طوى الخليفة عثمان الرسالة ثم قال للرسول :

اذهب أنت لتستريح من عناء السفر وتأهب للسفر صباح الغد ومعك رسالتى لمعاوية .

الرسول : سمعاً وطاعة لأمير المؤمنين.

عثمان : يا مروان.

مروان : أمر أمير المؤمنين.

عثمان :

أرسل لعلى وطلحة والزبير وأبن عمر وأبن عباس يأتوننى فى الحال

مروان : أمر أمير المؤمنين.

أستشار عثمان رضى الله عنه مستشاريه من صحابة رسول الله بعد أن قرأعليهم رسـالة معاوية ، فأشـاروا عليه بأن يرسـل معاوية أسـطول الشام لعبدالله بن سعد بن أبى السرح والى مصر فيجتمع له الأسطولان الشـامى والمصـرى . فكتب رسـالتين واحدة لمعاوية بالشـام والأخرى لعبدالله بن أبى السرح بمصر .

(٣)

حمل الرسول رسالة الخليفة عثمان إلى معاوية فى دمشق .

الحاجب : مولاى الأمير جاء الرسول من المدينة المنورة .

معاوية : أدخله على الفور.

الرسول : السلام على مولاى معاوية أميرالشام.

معاوية متلهفاً : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ماذا وراءك ؟

الرسول : هذه رسالة أمير المؤمنين عثمان بن عفان.

يتناول معاوية الرسالة ويفض خاتمها فإذا فيها :

" بسم الله الرحمن الرحيم. من عبدالله عثمان بن عفان أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبى سفيان أمير الشام . سلام عليك . فأنى أحمد الله إليك الذى لا إله إلا هو . أما بعد فقد بلغنى كتابك وفهمت ما فيه وتحذيرك من الخطر الداهم الذى يهدد المسلمين من قبل الروم . فإذا بلغك كتابى هذا فأرسل إلى عبدالله بن سعد بن أبى السرح أمير مصر مراكبك التى بالشام ، وكن عوناً له ولا تبخل عليه بالنصيحة فقد كانت لك سابقة الغزو فى البحر. وأنى قد بعثت لأبن أبى السرح بمثل ما بعثت إليك ، استحثه على الاستعداد لمواجهة الروم والدفاع عن ثغر الإسلام والسلام ".

طوى معاوية الرسالة وتمتم قائلاً :

يجب أن أرسل إلى بسر بن أرطاة فى الحال.

الحاجب : سيدى الأمير بسر بن أرطاة يطلب الأذن بالدخول.

معاوية : جاء فى وقته ..... أدخله على الفور.

بسر بن أرطاة : السلام على معاوية أمير الشام ورحمة الله وبركاته.

تبسم معاوية قائلاً :

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، كنت على وشك الإرسال في طلبك.

بسر: خيراً إن شاء الله.

معاوية :

وصلتنى منذ قليل رسالة من أميرالمؤمنين عثمان ، يأمرنى بإرسال أسطول الشام إلى عبدالله بن أبى السرح بمصر .

بسر : ونعم الرأي.

معاوية : كم عدد سفننا المرابطة بسواحل الشام ؟

بسر بن أرطاة : مائة وأربعون سفينة.

معاوية :

وفى مصـر لديهم ما يناهز سـتون سـفينة .... إذن سـيكون مجموع ما لدى أبن أبى السـرح حوالى مائتى سـفينة ..... أتعتقد أن هذا العدد من السفن سيكون كافياً لمواجهة أسطول الروم ؟

بسر: كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين.

معاوية :

صـــدق الله العظيم ..... حســـنا ســـيكون أمامك خمســـة أيام فقط لتجهيز السفن وستقودهم بنفسك إلى مصر .

بسر: السمع والطاعة للأمير معاوية.

(٤)

تحرك الأسطول الشامى من عكا إلى الإسكندرية بقيادة بسر بن أرطاة، وفى الإســكندرية بدأ عبدالله بن أبى الســرح الاســتعدادات لتجهيز الاسطول الإسلامى لمواجهة أسطول الروم :

بثينة (زوجة عبدالله بن أبى السرح) : مالى أراك مهموماً يا عبدالله!

عبدالله بن أبى السرح بضيق :

الاستعداد للمعركة القادمة مع الروم هو جل ما يشغلنى يا بثينة.

بثينة : ألم يرسل إليك معاوية أسطول الشام مع قائده بسر بن أرطاة ؟

عبدالله بن أبى السرح باقتضاب :

بلى ..... ولكن الأنباء التى وصــلتنا تفيد بأن امبراطور الروم حشــد لغزونا أكثرمن ستمائة سفينة ..... فكيف السبيل للإنتصار عليهم وهم أسياد البحر منذ قرون عديدة ..... حتى سمى هذا البحر ببحر الروم .

بثينة بطمئنينة :

وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة ..... لقد انتصــر المســلمون على الروم فى معارك عديدة رغم قلة عددهم .

عبدالله بن أبى السرح :

هذا صــحيح يا بثينة ..... ولقد شــاركت فى الكثير من المعارك ضــد الروم ، وكنت كما تعلمين على ميمنة جيش عمرو بن العاص حين فتح مصر..... ولكن ....

بثينة : ولكن ماذا ؟ هل تخشى الهزيمة ؟

أشاح عبدالله بن أبى السرح بيده معترضاً :

لا والله يا بثينة ..... ولكن القتال فى البر يختلف عن قتال البحر .... والله لو كانت المواجهة فى البر ما شـــغلتنى حشـــود الروم ولا كثرة عددهم ولو كانوا عشرة أضعاف عددنا .....

بثينة :

وماذا قال لك مستشاروك ، وفيهم بسر قائد اسطول الشام وهو من هو ، من له الخبرة فى قتال البحر وقد شارك معاوية فتح قبرص.

عبدالله بن أبى السرح : قالوا لاسبيل إلا بالقتال المعتاد فى البحر.....

هزت بثينة رأسها متسائلة : وما هو القتال المعتاد فى البحر ؟

عبدالله بن أبى السرح :

تلتصق سفينة من سفننا بسفينة من سفن العدو ويحدث القتال بين رجال السـفينتين ....ولكن فى حالتنا هذه ومع كثرة سـفن الروم سـتكون ثلاثة سـفن للروم مقابل سـفينة واحدة لنا ، أى سـتكون الغلبة لهم ..... آه لو اســتطيع اســتدراجهم للنزول للســاحل ، فتكون المعركة معهم أســهل والنصر عليهم أيسر بإذن الله .

بثينة : كم بقى من الوقت لوصول الروم إلينا ؟

عبدالله بن أبى السرح :

لو صدقت عيوننا فى أرض الروم ، فسيكون أسطولهم قبالة سواحلنا بعد أسبوعين من الآن .

تشير بثينة بسبابتها قائلة بحماس :

أعلم أنى سأشارك معك فى هذه المعركة .....

عبدالله بن أبى السرح معترضاً :

لا يا بثينة فالمواجهة مع الروم ستكون شرسة ، وأخاف أن يصيبك أذى أو تقعى أسيرة لديهم .

بثينة بإصرار :

مهما يكن لا أريد أن أحرم من شرف الجهاد فى سبيل الله ..... أريد أن أكون مثل أم حرام بنت ملحان أول أمراة مسلمة ركبت البحر ونالت شرف الشهادة .

عبدالله بن أبى السرح :

نعم ولكن أم حرام ركبت البحر بنبوءة نبينا الكريم لها ، بأنها ستكون أول أمراة مسلمة تركب البحر.....

بثينة بتصميم : وأنا سأقتدي بها.

لما رأى عبدالله تصميم زوجته على المشاركة فى المعركة قال بفتور: سأنظر فى أمر مشاركتك معنا فيما بعد.

(٥)

تحرك الأسطول البيزنطى من موانئ بيزنطى يقودهم قسطنطين بنفسه ، وقد ضم الاسطول مئات القساوسة والواعظين ليقوموا بتحميس الجند، وفى صباح اليوم التالى لابحار الاسطول خرج قسطنطين من حجرته إلى سطح السفينة الملكية.

الحاجب بصوت عال : مولاى الأمبراطور قسطنطين.

ينحنى القائد ادريان محييا الامبراطور:

صباح الخير مولاى الامبراطور.

قسطنطين :

صباح الخير يا ادريان .....أرى الجو صحو والشمس مشرقة.

ادريان : نعم يا مولاى ..... والريح تساعدنا.

قسطنطين بزهو :

كيف لا وقد قام البابا بمباركة هذه الحملة بكنيسة القديسة العظيمة صوفيا ..... كما أرسل معنا قس وواعظ فى كل سفينة من سفن اسطولنا لتحميس الجنود وتهيئتهم للمعركة ..... ألا تسمع صوت النواقيس .... فاليوم الأحد .... وها هم يقيمون الصلوات.

ثم ضم قبضته واستطرد قائلاً بحماس :

وحق الرب لانزلن بالعرب المسلمين هزيمة نكراء تتحدث عنها الأجيال المقبلة ولاجلينهم من مصر وأفريقية أذلة وهم صاغرين .

ادريان مؤكداً على قول مولاه :

مع مولاى كل الحق فهذا الحشـد من السـفن لم يشـهده بحر الروم منذ مئات السنين .

قسطنطين :

نعم فبهذا الأسطول وبمباركة الرب لنا استطيع أن أقهرشياطين الأنس والجن فما بالك باسطول المسلمين الهزيل .... فقد ابلغتنا عيوننا بمصر أن اسطولهم لا يزيد عن المائتى سفينة .

ادريان :

ولا ينسـى مولاى خبرتنا الطويلة فى ركوب البحر ، ورثناها عن أبائنا وأجدادنا منذ قرون عديدة ، حتى صرنا ملوك هذا البحر فصار يعرف ببحر الروم .

قسطنطين وقد أعجبه قول ادريان :

أجل أجل هو بحر الروم وسيبقى كذلك رغم أنف العرب ..... قل لى يا ادريان كم بقى لنصل الإسكندرية ؟

ادريان :

ثلاثة أيام يامولاى وفى اليوم الرابع نكون أمام ساحل الإسكندرية

قسطنطين : حسنا جداً.

(٦)

وعلى الساحل الغربى لمدينة الاسكندرية أقيم معسكر الجيش الاسلامى وربطت على سـواحله مائتى سـفينة هى قوام الاسـطول الاسـلامى . وحينما فرغ المسـلمون من أداء صـلاة الظهر ، صـاح أحد الجنود الكشافة كان قد نزل من أحد التلال القريبة من المعسكر :

مولاى الأمير .....

عبدالله بن أبى السرح : ماذا هناك ؟

الجندى : إن أسطول الروم قد لاح فى الأفق.

عبدالله بن أبى السرح بقلق : أحقا ما تقول .....

الجندى : أجل أيها الأمير.

ثم يصيح عبدالله بن أبى السرح قائلاً :

أيها الناس لقد حضـرما كنتم تنتظرون ، وها قد أقبل عليكم الروم فى حشد لم تعرفه البحار من قبل ، فأشيروا على .....

يسود الصمت للحظات

عبدالله بن أبى السرح : ما لكم صامتون .... أشيروا علي.

لم يجبه أحد ويسود الصمت مرة أخرى

عبدالله بن أبى السرح مضجراً وقد نفذ صبره :

لم يبقى من الوقت شئ فأشيروا على ، ماذا نحن فاعلون أمام أسطول الروم ؟

حسان بن أبى عامر: أيها الأمير.

عبدالله بن أبى السرح : من الرجل ؟

حسان : أنا حسان بن أبى عامر.

عبدالله بن أبى السرح : تكلم يا حسان.

حسان :

نحن جند الله أمنا بنبيه والكتاب الذى أنزل وجاهدنا مع نبيه وخلفاءه من بعده لنشر دينه ، فلا يروعنك ما ترى من قلة عددنا وكثرة عددهم فإن الله يقول فى كتابه العزيز " كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين " وأنت معك فى جيشك بقية من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، وكثيراً ممن قاتل الروم فى الشام ومصر ..... فسر بنا على بركة الله ، لعل الله يريك منا ما تقر به عينيك.

سرعبدالله بن أبى السرح بمقالة حسان فقال وقد كسا السرور وجهه:

بارك الله فيك يا حسان، لقد أثلجت صدرى بمقولتك **ثم يصيح قائلا :**

إذا فاركبوا باسم الله وعلى بركة الله .

أسرع الجنود لاعتلاء السفن ، وبعد أقل من ساعة كانت سفنهم تتجه لملاقاة الاسطول البيزنطى فى عرض البحر.

نظرعبدالله بن أبى السرح إلى الاسطول البيزنطى قائلاً بدهشة :

يا الله أن سفنهم تسد الأفق .... لم أكن أتصور أن أسطولهم بهذا الحجم.

وتعالت الأصوات بين الجند :

– ما أكثر سفنهم ! – أنها أكثر من ستمائة سفينة
– أنا سمعت أن امبراطورالروم حشد ألف سفينة
– يا تُرى هل سيهاجموننا فى البرأم سنهاجمهم نحن فى البحر؟
– أتمنى أن تكون المعركة فى البر.

ثم صاح عبدالله بن أبى السرح : اقتربوا منهم أكثر.

أخذ الاسطول الاسلامى يقترب من الاسطول البيزنطى رويدً رويداً ، وتوقع المسلمين أن تتقدم سفن العدو لملاقاتهم . ولكن كم كانت دهشتهم حينما وجدوا أن الاسطول البيزنطى قابع مكانه لا يتحرك.

عبدالله بن أبى السرح بدهشة :

ما هذا ؟ لقد توقفت سفن الروم عن التقدم نحونا .....إذن فهم يريدونها معركة بحرية.

عمرو بن الحارث :

لا...لا أظن ذلك سيدى الأمير، لقد سكنت الريح وهذا سبب توقفهم .

عبدالله بن أبى السرح :

أرى أن نخيرهم ...هل يريدون القتال فى البر أم فى البحر؟

عمرو بن الحارث : حسناً.

صاح عمرو :

يا جنود الروم إن أحببتم نزلنا إلى الساحل فلنتقاتل حتى يحكم الله بيننا وبينكم ، وإن شئتم تقاتلنا فى البحر؟

قسطنطين ضاحكاً بسخرية :

أترى يا ادريان لقد أرهبهم أسطولنا الكبير، وهاهم يخشون قتالنا فى البحر ، لهذا يريدون استدراكنا لنقاتلهم فى البرحتى تأتيهم الأمدادت فيتغلبون علينا ، ولكنا لن نمكنهم من ذلك.

ثم صاح فى جنوده :

ردوا عليهم يا جنود بيزنطى الشجعان ، سنقاتلكم هنا.

فارتفعت أصوات جنود الرومان : البحر .... البحر ..... البحر.

ادريان موجها كلامه للمسلمين بصوت عال يحمل الكثير من السخرية :

أيها العرب ها قد قاربت الشمس على المغيب ..... فسنرأف بكم ولن نقاتلكم اليوم ..... ولكن غداً صباحاً سنقاتلكم ونستأصل شأفتكم ، فالنصر عليكم مضمون لا محالة وسيكون هذا البحر مقبرتكم .

فارتفعت أصوات جنود الروم : الحرب ..... الحرب.

عبدالله بن أبى السرح :

بل تكون الدائرة عليكم إن شاء الله ..... يا بسرلقد اقترب الليل وسكنت الريح ولن تكون للسفن القدرة على التحرك ، أرسو مكانكم بالقرب من الساحل حتى الصباح ..... وأنت يا عمروبن الحارث أجمع لى قادة السفن ليوافونى جميعاً فى معسكرنا بالساحل ، فسنعقد مجلس الحرب عقب صلاة العشاء.

بسر وعمرو : السمع والطاعة للأمير.

(٧)

وفى المساء وعقب صلاة العشاء اجتمع عبدالله بن أبى السرح بقادته ، فاســـتهل كلامه بقوله : لقد جمعتكم الأن للإتفاق على الخطة التى سيواجه بها أسطولنا الصغيرأسطول الروم الكبيرغداً إن شاء الله.

بشير : هل جهز الأمير خطة أم يريد مشاورتنا ؟

عبدالله بن أبى السرح :

أنا فعلا جهزت خطة لمواجهة الروم ســأعرضــها عليكم الأن .... لقد فكرت مليا وأستقر رأيى على أننا لن ننتصر على جموع الروم الغفيرة مع قلة عدد سفننا إلا.... إلا بالصبر والمكيدة.

عمرو بن الحارث بدهشة : المكيدة **!** كيف ذلك أصلح الله الأمير.

أطرق عبدالله بن أبى السرح برأسه قائلاً :

نعم يا عمروالمكيدة ..... لقد وفقنى الله لخطة لو تم تنفيذها كما يجب لسحقنا أسطول الروم ولدحرناهم عن ديارنا بغير رجعة.

تسائل الجميع فى صوت واحد : وماهى الخطة ؟

عبدالله بن أبى السرح :

خطـة الروم تعتمـد على الهجوم علينـا وتطويقنـا من جميع الجهـات فيسهل عليهم القضاء علينا أليس كذلك ؟

بسر : نعم هذا هو المتوقع.

عبدالله بن أبى السرح :

غداً صباحا سنفاجئ الروم بعكس ذلك .... فمع أول ضوء النهار تتقدم سفننا نحو سفن الروم بحيث تدخل كل سفينة من سفننا بين سفنتين من سفنهم ، فى هذه الأثناء ينزل بحارتنا فيقومون بربط سفننا وسفنهم بالحبال والخطاطيف ..... وفى نفس الوقت تقوم مجموعة من رجالنا بربط صوارى السفن بعضها بعض ، حتى تصبح سفننا وسفنهم كتلة واحدة ..... وبذلك نتغلب على كثرة عددهم ، وتصبح المعركة وكأننا نتقاتل فى البر.

فارتفعت الأصوات : لله درالأمير.... ونعم الرأى يا أمير.

عبدالله بن أبى السرح :

عندما تعودوا الأن لسفنكم لينتخب كل قائد منكم خير السباحين للقيام بالمهمة وليلقنه ما أمرت به ..... وليقضى الجند الليل مسبحين مستغفرين ..... فأنها والله مفتاح النصر ..... ولتعلوا أصوات القراء بسورة الأنفال لتشد من أذرالجند فأنها سورة القتال .....أما أنت يا بسر فستبقى هنا على الساحل ومعك نصف الجيش ، لتحموا ظهورنا إذا ما فكر الروم النزول للشاطئ .

بسر بن أرطاة : السمع والطاعة للأمير.

(٨)

قضـــى الروم ليلة المعركة يدقون النواقيس ويقرأون الأنجيل ، وأخذ القسـاوسـة والوعاظ يحمسـون الجند ويحثونهم بضـرورة النصـر على العرب المسـلمين حتى تسـترد الإمبراطورية الرومانية هيبتها . وقبل انتصاف الليل ذهب الامبراطور قسطنطين ليأخذ قسطا من الراحة قبل المعركة ، ولكنه عند السـحر اسـتيقظ صـارخاً فزعاً وقد بدا الشـحوب على وجهه :

لا لا .

فأسرع إليه الخادم قائلاً : مولاى الامبراطور..... أهناك شئ ؟

قسطنطين بصوت متهدج : لا...لا.

الخادم : مولاى .... أأحضر الطبيب ؟

مسح قسطنطين جبينه الذى تفصد عرقاً بيده قائلاً :

لا لا....فى أى ساعة من الليل نحن الأن ؟

الخادم : فى الثلث الأخير من الليل يا مولاي.

قسطنطين : أحضر لى الأب سرجيوس فى الحال.

الخادم : أمر مولاي.

ذهب الخادم لاحضار الأب سرجيوس.

الخادم : مولاى الامبراطور ... الأب سرجيوس حضر.

الأب سرجيوس : خيراً يا مولاي.

قسطنطين مضطرباً : لقد رأيت رؤيا أريد أن أعرف منك تفسيرها.

الأب سرجيوس : قص على ما رأيت يا مولاي.

قسطنطين وقد هدأت نفسه :

رأيت كأنى فى ســـفينة بعرض البحر ثم قامت رياح عاتية اقتلعت أشــرعة الســفينة ، ثم جاء طائر كبير واحتملنى بمخالبه وطار بى فى الهواء ثم قذف بى على الشـــاطئ ، وظللت أســير لعلى أجد أحد ، فلم أجد إلا امرأة عجوزاً تســتدفئ بالنار ..... وعندما ســألتها أين أنا قالت لى أنت فى ســالونيكا ، ثم رأيت رجال لم أرى أبشــع من وجوههم قط يحيطون بى ويريدون الفتك بى .....

الأب سرجيوس : وماذا حدث بعد ذلك ؟

قسطنطين :

ثم استيقظت من نومى... فما تفسير هذه الرؤيا أيها الأب سرجيوس ؟

يسود الصمت...

لاحظ قسطنطين علامات الاستياء على وجه الأب سرجيوس فتسرب إليه القلق فقال :

ما لى أراك متردداً أيها الأب .... هل فى هذه الرؤيا ما يسوءني.

تلعثم الأب سرجيوس وبدا الارتباك واضحاً فى صوته وهو يقول :

مولاى الامبراطور هذه الرؤيا تعني ..... تعني.

قسطنطين بضيق : تعنى ماذا ؟ .... تكلم أيها الأب.

سرجيوس :

تعنى أن النصر لن يكون حليف مولاي عندما ينشب القتال ضد العرب

امتقع وجه قسطنطين حينما سمع تفسير سرجيوس لرؤياه ، فقال بلهجة تجمع بين السخرية والغضب :

ماذا ..... أى هراء تقول أيها الأب ..... النصر لن يكون حليفى أتعنى أن أسطول العرب الهزيل يهزم أسطولنا القوى الذى يسيطر على هذا البحر منذ مئات السنين ... لا .....لا .... هذا غير معقول ..... لابد أنك تهذئ ..... نعم قل أنك مخطئ وأنك لا تستطيع عبور الرؤى.

الأب سرجيوس :

هذا ما أعلمه يا مولاى ..... فسالونيكا فى لغتنا تعنى أن النصر لن يكون حليفنا ، بل سيكون النصر لأعدائنا.

قسطنطين بغضب : هذا هراء .... هراء أتسمع .....

ثم احتقن وجه قسطنطين غضباً وأشار بسبابته وقال بلهجة القت الرعب فى قلب الأب سرجيوس :

أرجو ألا يتسرب ما قلته لى الأن بين جنودنا فيفت ذلك فى عضدهم ، ومعركتنا مع العرب ستنشب بعد ساعات من الأن ..... أفهمت أيها الأب سرجيوس.

سرجيوس وقد تملكه الخوف :

لا ..... لا لن اتفوه بكلمة واحدة ..... أقسم بالعذراء أنى لن اتفوه بكلمة واحدة مما دار هنا بيننا.

قسطنطين :

حسنا أيها الأب الطيب ..... ولكى أضمن أنك لن تتكلم فستمكث فى غرفتك لا تبرحها حتى تنتهى المعركة.

الأب سرجيوس بعينين زائغتين وصوت متقطع :

نعم .... نعم .... سأمكث فى غرفتى ولن أبرحها حتى تنتهى المعركة بنصر مولاى على أعداءه.

ويشير إليه قسطنطين : انصرف الآن.

(٩)

قضى المسلمون ليلة المعركة بين مسبح ومستغفر وقارئ للقرأن ، وفى السحر وقبل صلاة الفجر نادى القائد عبدالله بن سعد بن أبى السرح جنوده قائلاً :

أيها الجنود اسمعوا لموعظة العالم الفقيه مالك بن أوس.

مالك بن أوس بصوت جهورى تحمل كلماته الخشوع والحماس معاً :

إن الحمد لله ، حمداً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، ونصلى ونسلم على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى أله وصحبه وسلم ..... أما بعد .... فقد جاءكم ما تحذرون ، فهاهو قسطنطين امبراطور الروم قد حشد الحشود وعبأ السفن بالرجال والعتاد للقضاء على المسلمين وطردهم من البلاد التى فتحوها بعد أن جعلوا كلمة الله هى العليا ، فنشروا فيها العدل والرحمة بعد أن ملاءت جوراً وظلماً ..... فماذا أنتم فاعلون ؟ ..... والله لقد واجهت الروم فى مواطن عديدة وأنا ادرى الناس بقتالهم ، فقد شاركت فى فتوح الشام أيام الفاروق عمر ، وكنت معه حين دخل بيت المقدس وكنت جندياً فى جيش عمرو بن العاص الذى فتح مصر.... فالروم اليوم ليسوا بأفضل حال من الأمس ..... لقد أعزنا الله بالاسلام فكنا أفضل من ركب الخيل وحمل السيف وسنكون بإذن الله أفضل من ركب سبج هذا البحر.....

فيا من أزلتم مُلك كسـرى وقيصـر لا تخنعوا اليوم فيؤتى الإسـلام من قبلكم والله لأن انتصـــرتم عليهم اليوم فلن تقوم لهم قائمة بعد ذلك أبدا ..... وكما قال عمر: " أنكم تنتصـرون عليهم بطاعتكم لله ومعصـيتهم له فأن استويتم أنتم وهم فى المعصية غلبوكم بكثرة عددهم " فهذا والله يوم من أيام الله كيوم بدر والقادســية واليرموك ..... فأروا الله من أنفسكم خيراً وتوبوا إليه واستغفروه واسألوه النصر على عدوكم ..... بسـم الله الرحمن الرحيم " يا أيها الذين آمنوا إن تنصـروا الله ينصـركم ويثبـت أقـدامكم " وأكثروا من ذكر" لا حول ولا قوة إلا بـالله " واحرصـــوا على الموت توهب لكم الحياة ، وأعلموا أن النصـــر مع الصبر وأن الجنة تحت ظلال السيوف ، فأنها والله إحدى الحسنيين أما النصر أو الشهادة .

(١٠)

ومع أول خيوط النهار تحركت سفن الأسطول الإسلامى لمواجهة أسطول الروم.

ادريان وهو يشير ناحية سفن المسلمين : سيدى الامبراطور .. انظر

قسطنطين ساخراً : ماذا يفعل هؤلاء العرب الحمقى ؟

ادريان بدهشة : أنهم يتجهون نحونا لمهاجمتنا.

قسطنطين :

لقد كانت خطتنا أننا سنهاجمهم أولاً، وهم سيكونون فى موقف المدافع ..... مر النبالة فليمطروهم بوابل من السهام.

ادريان : أمر سيدى ..... **ثم يصيح فى جنده آمراً** : أطلقوا السهام.

تطايرت سهام الروم فى الهواء ، فأستقر بعضها فى جسم السفن وأستقر البعض الأخر فى أجساد المسلمين.

عندئذ أمر عبدالله بن أبى السرح النبالة **صائحاً** :

يا جند الله ..... أطلقوا السهام.

يبتسم قسطنطين قائلاً :

هذا ما كنت أرنو إليه أن يتبادلوا معنا أطلاق السهام حتى تنفذ سهامهم.

ظل التراشق بالسهام بين الطرفين حتى نفذت السهام من كلا الطرفين ، عندها أمر قسطنطين جنوده بأمطار سفن المسلمين بالحجارة ، وكذلك فعل عبدالله بن أبى السرح . وظل التراشق بالحجارة بين الطرفين حتى نفذت الحجارة من كلا الطرفين.

عندها صاح عبدالله بن أبى السرح فى جنوده :

يا جند الله .... تقدموا ونفذوا ما أمرتكم به.

أرتفعت أصوات المسلمين بالتكبير وسفنهم تقترب من سفن الروم ورياً رويداً ، حتى التصقت سفن المسلمين بسفن الروم.

ورفع عبدالله بن أبى السرح يديه داعياً :

اللهم زلزل أقدامهم وشتت شملهم وألقى الرعب فى قلوبهم ، وأنزل سكينة علينا وحبب إلينا لقاءك.

ربت زوجته على كتفه قائلة :

آمين .... أطمئن يا عبدالله .... والله لن يخذلكم الله أبداً ولينصرنكم نصراً عزيزاً مؤزراً .... ألم يقل الله سبحانه أنا عند ظن عبدى بى .... وأنا والله لا أظن بربى إلا خيراً.

يضع عبدالله ذراعه على كتفها بحنان قائلاً :

وأنا كذلك والله يا بثينة ، لا أظن بربى إلا خيراً.

نظر قسطنطين متعجباً وهو يرى السباحين المسلمين يلقون بأنفسهم فى مياه البحر فقال بسخرية :

أنظر يا أدريان ماذا يفعل هؤلاء الحمقى ؟ ..... لماذا يلقون بأنفسهم فى مياه البحر؟ .....هل خافوا من مواجهتنا ؟ أم يريدون دخول جنة ربهم التى وعدهم إياها !

أما أدريان فقد فطن لخطة المسلمين فقال منزعجاً :

ليس الأمر كذلك ..... انظر يا مولاى أنهم يقومون بربط سفنهم بسفننا.

أستشاط قسطنطين غضباً فقال بحنق :

ماذا .... اللعنة على هؤلاء القوم ، وماذا يريدون من وراء ذلك ؟

ادريان :

لقد فهمت الأن خطتهم أنهم يريدون ربط سفننا بسفنهم لتكون كتلة واحدة وبذلك يتغلبوا على نقص عدد سفنهم ..... **ثم يرتفع صوته :**

أيها الرماة اقتلوا كل المسلمين الذين بالمياه ..... امنعوهم من تنفيذ خططتهم.

نفذ الجنود الرومان ما أمرهم به أدريان وأمطروا السباحين المسلمين بوابل من سهامهم ، فلقى عدد منهم مصرعه وتمكن الباقين من تنفيذ مهمتهم ، وتقيدت سفن الروم بسفن المسلمين بالحبال الغليظة والخطاطيف.

نزل أحد الجنود من أعلى صارى سفينة القائد عبدالله قائلاً :

سـيدى الأمير لقد نجح رجالنا فى مهمتهم وقاموا بربط سـفننا بسـفن الروم.

عبدالله بن أبى السرح مسروراً :

الحمد لله ....وهل فقدنا الكثير منهم يا قيس ؟

قيس بأسى : نعم ياسيدى .... نصفهم تقريباً.

عبدالله بن أبى السرح بتأثر :

لقد آثرهم الله بالشهادة .... رحمهم الله والحقنا بهم.

وعلى الجانب الأخر كان قسطنطين وأدريان يراقبان ما يحدث بقلق بالغ :

مولاى الامبراطور ..... لقد نجح المسلمون فى خطتهم وقاموا بربط السفن ببعضها حتى صارت كتلة واحدة ..... أننى أعجب كيف فطنوا لهذه الحيلة !

قسطنطين بحنق :

نعم يا أدريان ..... لقد نجح قائدهم لاستدراجنا لمعركة برية ولكن على سطح الماء.

وعلى سطح السفن دارت أشرس المعارك البحرية بالسيوف والخناجر والحراب ، وكثر القتل فى الجانبين حتى أصتبغت مياه البحر باللون الأحمر.

ارتفعت الأصوات بين الجنود المسلمين :

أثبتوا ياجند الله .....أثبتوا يا أصحاب رسول الله ..... لا تجعلوا الروم يركبون أكتافكم ..... أمن الجنة تفرون .... والله ليس أمامكم إلا هذا البحر.

وارتفعت أصوات المسلمون بالتكبير : الله أكبر ..... الله أكبر.

عبدالله بن أبى السرح فى حماس : الآن حمي الوطيس.

ولما رأى قسطنطين كفة المعركة تميل لصالح المسلمين تفتق ذهنه لحيلة فقال لقائده بغضب : ادريان.

ادريان : أمر مولاي.

قسطنطين :

أريدك أن تحضر لى قائد هؤلاء العرب المسلمين .... عبدالله بن أبى السرح أسيراً مكبلاً بالاغلال بين يدى ..... أسمع يا ادريان.

ادريان : كلى آذان مصغيه يا مولاي.

قسطنطين :

انتخب مجموعة من رجالنا الأشـــداء ليربطوا ســـفينة عبدالله بن أبى السرح بأحد سفننا لأخذه أسيراً معى إلى بيزنطة.

ادريان : أمر مولاي.

وفعلا تســللت إحدى ســفن الروم واتجهت ناحية ســفينة القائد عبدالله وألقت عليها سلسلة كبيرة.

صـــرخت بثينة حينما شـــاهدت البحارة الرومان وقد نجحوا فى مخططهم : يا عبدالله لقد نجح الروم بربط السفينة وجرها.

ظهر العبوس على وجه عبدالله بن أبى السرح فقال :

أن قسطنطين يريدنى أسير لديه ....

قاطعه صوت أحد الجند وهو يمسك بيده منشاراً لقطع الحديد متجها ناحية السلسلة الحديدية : والله لن يكون هذا أبداً.

نظر إليه عبدالله بن أبى السرح متعجباً : من علقمة بن يزيد **!**

رأت بثينة علقمة يقفز على السلسلة الحديدية فقالت بدهشة :

ما أشــجع هذا الرجل **!** انظر يا عبدالله لقد قفز على الســلســلة الحديدية متحدياً الموت .....

أخذ علقمة ينشر السلسلة الحديدية بالمنشار محاولا قطعها ، وعندما رآه الجنود الروم حاولوا منعه عند طريق رميه بالسهام ، ولكن عبدالله بن أبى السرح كان قد فطن لهذا فأمر بعض جنوده بتغطية علقمه ، وبتبادل التراشق بالنبل مع الرومان حتى يتنهى علقمة من قطع السلسلة . ولم تستطع السلسلة الحديدية الصمود طويلاً فانكسرت ورجعت سفينة الروم تجر أذيال الخيبة.

سرعبدالله بن أبى السرح بفعل علقمة فقال :

الله أكبر ولله الحمد ..... لقد فعلها علقمة لقد قام بقطع السلسلة ..... لله درك يا أبن يزيد.

واستمر القتال عنيفاً بين الطرفين ، فقتل القائد ادريان فى المعركة وكاد أن يقتل قسطنطين . ولما رأى قسطنطين الكفة تميل لصالح المسلمين أتجه ناحية أحد الجنود الذين يدقون الطبول قائلاً : أنت أيها الجندى ..... تعالى معي.

الجندى : أمر مولاي.

ذهب الجندى وراء قسطنطين حتى وصل الحجرة الملكية ، والتى ما أن دخلها قسطنطين حتى شرع ينزع عنه سترته قائلاً للجندى :

اخلع ملابسك.

ظهر الذهول على وجه الجندى فحملق فى وجه الامبراطور قائلاً بارتباك : مولاى الامبراطور.

قسطنطين :

أســـرع أيها الأحمق ، ولا تحملق فى هكذا ..... فأنا أريد أن أرتدى ملابسك لكى لا يتعرف على المسلمين فيأسرونني.

الجندى : هل تنوى الفرار من المعركة يا سيدي ؟

قسطنطين :

أيها الغبى ألا ترى ما نحن فيه ..... لقد حُسم الأمر وانتصر المسلمون.

عندها أسرع الجندى بنزع ملابسه وناولها قسطنطين الذى ارتداها فى عجلة وارتدى هو ملابس الامبراطور . خرج قســطنطين من الحجرة الملكية مســـرعاً وأمر بحارته بترك المعركة وتغييرأتجاه الســـفينة إلى صقلية .

انتهت المعركة بانتصـار ساحق للمسلمين – رغم استشـهاد عدد كبير منهم فى المعركة – فى حين قتل من الروم ما لايحصـــى . ورجعت الدماء إلى الشـاطئ تضـربها الأمواج وطرحت جثث الرجال ركاماً ، وغنم المســلمون عدداً كبيراً من ســفن الروم – ســارت بعد ذلك فى حظيرة الأســطول الإســلامى – بينما غرق عدد غير قليل منها . وبعد ثلاثة أيام رسـت سـفينة قسـطنطين على سـاحل جزيرة صـقلية ، وعندما شـهده سـكان الجزيرة التفوا حوله يسـألونه عن نتيجة معركته مع المسـلمين – المعركة التى كانت تنتظر أخبارها بشـغف كل أرجاء الإمبراطورية الرومانية – فأخبرهم بانتصـار أسـطول المسـلمين ، فظهر الاسـتياء على وجوههم فقالوا له : خزلت النصـرانية وفنيت من بقى من عســكر الروم وجئت إلينا ، فلو دخلت العرب إلى بلادنا لم يجدوا من يردهم . ثم اجتمعوا عليه وقتلوه .

(١١)

طارت أنباء انتصار أسطول المسلمين الساحق على أسطول الروم إلى المدينة المنورة.

مروان بن الحكم فرحاً : مولاى أميرالمؤمنين.. مولاي أمير المؤمنين.

عثمان بن عفان : ماذا وراءك يا مروان ؟

الحاجب :

البشرى .... البشرى يا أمير المؤمنين ، وصل رسول من قبل أمير مصر يبشر بالإنتصار على الروم.

تهلل وجه عثمان فقال : الحمد لله.

وخر أمير المؤمنين عثمان لله ساجداً ، ثم قام واقفاً **وقال لمروان :** أدخل الرسول على الفور.

الرسول : السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

عثمان : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

الرسول : رسالة الأمير عبدالله.

يتناول أمير المؤمنين الرسالة ويقرأُها :

" بسم الله الرحمن الرحيم .إلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان من واليه على مصر عبدالله بن سعد بن أبى السرح سلام عليك أما بعد . فقد من الله علينا وأقرعيننا بالنصـرعلى الروم وكسـر شـوكتهم فى البحر، كما من علينا من قبل بكسر شوكتهم فى البر، وكانت ذات الصوارى بمثابة يرموك ثانية لهم ، فقتل منهم خلق كثير وغنمنا من ســـفنهم الكثير ، وبذلك أنتهت ســـيطرتهم على ما كان يعرف ببحر الروم ، ولقد بلغتنا الأنباء بمصرع طاغيتهم قسطنطين على يد بنى جلدته. فلله الحمد على نصره والسلام ".

سأل عثمان الرسول : هل سميتم معركتكم مع الروم بذات الصواري؟

الرسول : نعم يا أمير المؤمنين.

عثمان : ولما ؟

الرسول :

لقد كنت واحداً من الآلف المسلمين الذين شاهدوا المعركة من الساحل ..... ووالله ما رأيت تجمع للسفن مثله فى حياتى .... حتى أننا لم نرى من بعيد إلا صـــوارى ســـفننا وســـفنهم تســـد الأفق... لذا ســـمينها بذات الصواري .

تبسم عثمان قائلاً :

لله درك يا أبن أبى السرح ..... ما خاب ظنى فيك حين وليتك مصر.... لقد عابوا على حين وليتك وقالوا ولاه مصــر لأنه أخيه فى الرضــاعة .... ووالله ما وليته إلا لثقتى فى حسن اسلامه وشده بلائه ... يا مروان أعطى الرسول البشرى ...ألف درهم من مالى الخاص.

مروان : أمر أمير المؤمنين.

الرسول فرحاً : بوركت يا أمير المؤمنين.

ورفع عثمان يديه داعياً بخشــوع : اللهم لك الحمد ، صــدق وعدك ، ونصرت عبادك وهزمت الأعداء وحدك.

تمت...